شعر

قاسم حداد

ثلاثون بحراً للغرق

براءات
المتوسط

ثلاثون بحراً للغرق

المؤلف: قاسم حداد عنوان الكتاب: ثلاثون بحراً للغرق
الطبعة الأولى: ٢٠١٧.
تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 978-88-99687-96-0



منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:
Alzaia Naviglio Pavese. 120/ 20142 Milano / Italia
العراق / بغداد / شارع المتنبي / محلة جديد حسن باشا / ص.ب 55204.
www.almutawassit.org / info@almutawassit.org

قاسم حداد

ثلاثون بحراً للغرق





براءات
المتوسط

إهداء

مهيار
وهبتُه شكلَ الأنهار
منحتُه اسمَ الأقمار
وقلتُ له اذهبْ، وارمِ شباك العذوبة
على كائنات، لا تأسرها غير العذوبة.
إليه
إلى ابني وصديقي مهيار
أهدي هذا الكتاب.

اسمعْ، يا «آرْثرْ»

تَحيّة إلى عبد الرحمن النعيمي

١

مُندلعاً في يقظةٍ مشتهاةٍ
في كَوكَبٍ جارفٍ
ترخي ثقتكَ في أدلاءَ مدجَّجينَ بقناديلَ خامدةٍ
متّكئاً على طرفِ التّختِ الباردِ
راصداً بأحداقِكَ المذعورة
قلوعاً مَرمِيّةً على الرّمل
ظنّاً أنها المَدُّ العَالي.

٢

كيفَ تُريدُ لنا أن نُصدِّقَ انتظارَكَ؟
كيفَ لنُصُوصِكَ المختومةِ بعاجِ عظامِنا
أن تقرأ لنا الطّالعَ،
فيما تصقلُ لكَ تاجاً، تَرِثهُ كلّ صباحٍ
مثلَ تاريخٍ يتفاقمُ في كوابيسِ ليلِنا التّائه؟

٢

طاشَ بنا العقلُ المجنونُ، وأنتَ في عرشِكَ،
تنتظرُكَ حُشُودُ أحشائِنا، لتمتحنكَ بالعجلات،
وصَريخُ الحديدِ في عظامِ كواحِلنا
ها أنتَ تُبالغُ في التّحديق
كلّما عَبَرَ أمامَكَ شَخْصٌ مأخوذٌ
يستفحل الوَهْمُ في كيانه،
شخصٌ يتهاوى،
يتشبَّثُ بتلابيبِ شخصٍ يتلاشى
نَطُوْفُ به في قَفِيرَةِ القمحِ
رَجَاةَ أنْ تَنْهَضَ المُعْجِزَةُ في أعضائه
نُؤدِّي له صَلاةَ
يَرْتَجُّ لها المُلكُ والمَمْلَكة.
يَصْطَفُّ المَوتى جَمْعَاً جَمْعَاً
يَتدافَعُ الفُقراءُ والخَرَّافُونَ وطُهاةُ العَرائِضِ
وأنْتَ في الغَيبُوبَةِ والغيّ،
يُحيطُ بِقَصْرِكَ تِسْعُونَ خَطِيباً، يمْتَدِحُونَ رَحمَةَ المَوتِ
لِكَي يَتَرَيَّثَ، ويَمْنَحَكَ الوقتَ
لِتَخْرجَ من جِسر مَنْخُورِ
يَعبرُه الجَوعى بِنصفِ رغيفٍ
وضَرائِب نَهْبٍ وتِسْعَةِ قتلى.

٤

ليتكَ تسمعُ نَحيبَ الأحبابِ
وراءَ البابْ.

٥

أصلابُك تَظُنُّ بِنَا،
فَتَرَيَّثْ في خَجَلِ الوحشِ
واتْرُكْ لِحديدِ المَعنى
يُوقِظُ ليلَ نَداماكَ.

٦

بالغتَ في صَقلِ السّيف بِشَهوةِ الحَجَرِ
ضَاهَيتَ الصّخْرَ بقلبِكَ
فاخْتَلَطَ عليكَ العَدْلُ بِطَيشِ المُلكِ
هل أنْتَ الحربُ على شعبكَ؟
أمْ أنتَ السِّلمُ عليه؟

٧

ليسَ لديكَ مِنَ الوقتِ لتأنِيبِ دُعاءَ النّدَمِ
فُرسانُكَ المُؤَجّلُونَ يَنْتَظِرُونَكَ على مَشارِفِ الجبلِ
يَنتظِرونَ انْحدارَكَ مُنْجَرِفاً، لِتأخذَ مَكانَكَ في طَلِيعَتِهِم
يَذْهَبُونَ إليكَ

مِثْلَ الحَجِّ
مثل الحلمِ إلى النَّومِ،
إليكَ
إليكَ
لتذهبَ بِهِمْ في دَرْسِ اليقظةِ
لِرَعيلٍ أمعَنَ في التّيهِ
وأفْرَطَ في الحَسْرَةِ،
ما كانَ لَكَ أنْ تَتأخَّرَ عن قَلقِ القَلْبِ
في مَهاميزِ فُرسانِكَ المَنْذُورِينَ لِفَقْدِكَ
جَسُورُونَ بِكَ
ويُدْرِكُونَكَ بالحُبِّ أكثرَ مِمّا تَتْرُكهمْ في الضَّغائِنِ،
مُرِيدُوكَ يُرِيْدُونَكَ،
قَرابِينُهم في أيْدِيهِمْ،
رَجَاةَ أنْ تَبرأَ مِنْ الضُّرِّ
رَجَاةَ أنْ تَنْهَضَ بِتاجِكَ الصَّحِيحِ نَحو مَدَارِجِ خَيلِهِمْ،
يَسْتَلُّونَكَ مِثلَ سَيفٍ سَعِيدٍ في المُبارزاتِ
يُعالِجُونَ بِكَ جِراحَهُمْ
ويَجْرَحُونَ بِكَ أوْهامَ الجَنَّةِ والنَّارْ.

٨

كتائبُ جَيشِكَ العاطلِ تَعْبَثُ بنا
بلا بَصيرةٍ، ولا مَجْدٍ
فَقُلْ لهمْ،
أوْلئِكَ الذين بالَغُوا في الخَطأ

من شُرفَةِ القَصْرِ حتّى حَديقةِ الحصْنِ،
يَفْزَعُونَ من حَصَاةِ الجَرَسِ
يُنَافِحُونَ في بَهوِ الأرْضِ
مُنْخَرِطِينَ في التّدْوينِ
يَسْتَغْلِقُ عليهم المَعنى
وتَخُونُهمُ الدّلالاتُ
ويَشُطُّ التّفسيرُ بِهِمْ.
قُلْ لَهُمْ
بِعَينَيْكَ المُغْرَورِقَتَيْن في تَضَرّعِ الأوْجِ
عَيْنَينِ يَعُزُّ عليهما البُكاءُ.

قُلْ لهم
أنْ يَكُفُّوا عَنْ هَنْدَسَةِ الكارِثَةِ وأرْشيفِ السُّلالةِ

قُلْ لهم
أنْ يَكْبَحُوا كلامَهم الفاحِشَ مُتَذَرِّعِينَ بالصَّلاةِ
في مُنْعَطَفاتِ الكَعْبِ الهَشِّ
فيبدؤوا في إطلاقِ فَرَسَ الشَّهوةِ
وشَجَاعَةَ المَوجْ.

٩

هل تَنْسى أنْخابَكَ مَعهُمْ سَاعةَ الكواكبِ
فيما كانتِ الشّمسُ تَسْتَرِيحُ قَبْلَ الفَجْرِ،

فِيما الطِّفلُ في العائلةِ
فيما النّغمةُ تَرِفُ الوَقتَ
فيما الدّعاةُ يَتهجّوْنَ القُرى
فيما المَعاجمُ تجْهَلُ
فيما الضّجيجُ يَطغى
فيما الكتابُ في الوَحْشَةِ
فيما النّاسُ في التّجْرِبَةِ
والحكمةُ في العَذْلْ؟

١٠

الآن،
تَطْوِي طاوِلتَكَ المُسْتَديرَة
وتَصْقُلُ خَواصِرَ خَيْلِكَ بأكثرِ المَهاميزِ جَسارَةً
وتُطلِقُ نَشيدَ الصّحْرَاءِ لِبَحّارَةٍ في السَّفَر،
ونساءٍ في البيتْ.
لكنْ، مَن يُصْغِي إليكَ، وأنتَ تَجْهَلُ سُوْرَةَ السَّدِيمِ
وتَنْسى فهْرِسَ الأساطِيرِ؟
تَخْرُجُ مُدَجَّجاً بالقَوانِينِ
لِتُقْنِعَ شَعباً، أرْهَقَتْهُ الإِقامَةُ في سِجْنِ البَحْرِ،
لِكَيْ يَقْبَلَ قَيْدَ الأرضِ،
شَعْباً، أمَضَّتْهُ حُمُوضَةُ العَطَشِ
شَعْباً شَطَّ بِه الوَهْمُ
وشَطرَتْهُ الأوهَامْ.

الآن،
فيما تَطوي عَباءَتَكَ الكالِحَةَ
مُسْتَدِيراً نَحو عَرْشِكَ الوَشِيك
لا تَظُنَنَّ أنَّ سُيُوفَ فُرسانِكَ المَصْقُولَةَ بالمُبارَزاتِ
كَافِيَةٌ لِتَرْوِيضِ شَكِيمَة شَعْبٍ، خَصَّهُ اللهُ بالبَحرْ.

١١

ثمَّةَ فارِسٌ واحدٌ
كَفِيلٌ بِرَسْمِ وَرْدَةٍ سَوداءَ على كَتِفِكَ،
يُعِيدُ تَنْظِيمَ حَرَكَةِ الطَّبِيعَةِ
ويَمْنَحُ الخَيلَ أسماءَ النَّاسِ،
فَتَحَسَّسِ النَّدْبَ النَّافِرَ في زَنْدِكَ
حَرِّرْ أطرافَكَ مِنْ وَهْمِ الإرْثِ.

١٢

هل أنتَ مَلِكٌ؟ أمْ سَماءٌ؟
لِكي تَنْسى فُرسانَكَ في غَيْمَةِ أحلامِهِم العابِرَةِ،
وتَغْفَلَ عن معاجمِ الوَعْدِ في طَليعةِ عَهْدِكَ؟
ليسَ لِشَعْبِكَ أنْ يَتَأرْجَحَ مِثْلَكَ
بَينَ صُكُوكِ المِحرابِ
ونُصُوصِ مِيثاقِكَ
مِيثاقٌ رَقعَتْهُ صَارِيَةٌ في زُرْقَةِ السَّفَرْ.

١٣

أطلِقْ رباطَ بغالِكَ
تَخَفَّفْ مِنْ أدواتِ الحَرْبِ
ارْخِ لِنَجّارِيكَ، كَيْ لا يَتِيهَ بِهِم خَشَبُ السِّيْسَمِ في اليَمِّ،
فَمَقاعِدُكَ لا تُحْصَى
والتَّخْتُ المَنْخُورُ يَضِيعُ بِنا.

١٤

نساؤكَ المَذْعُوراتُ لِفَرْطِ الوَحْشَةِ
لَمْ يَبْقَ لَهُنَّ بَعدَ الغُرْبَةِ غيرُ المَنْفَى
ليسَ في البَيْتِ غَيرُ انْتظارٍ فَادحٍ
وذُبَالَةُ خَيْطٍ مَعْقُودٍ في الرّسْغِ المَرْضُوضْ.

١٥

ثمّةَ نساءٌ
رَبيْنَ الأحجارَ في مُهودَهِنَّ
لِئلا يشْعُرَ الرِّجالُ بالوَحْشَةِ
لئلا يُصابَ الأطفالُ بالوَحدَةِ،
نساءٌ رافقنَ البحرَ في مَدِّهِ الأعلى
لِكَيْ يَسْتَمْهِلْنَهُ في السّواحِلِ
ويَسْتَفْرِدْنَ بِهِ في رَدْهَةِ النَّومِ
يَغْسِلْنَ الأواني بِفَيضِهِ
ويَدْهَنَّ أعضاءَ رِجالِهِنَّ بِسَوْرَةِ الغَضَبْ،

بَحْرٌ يَدَّخِرُ الدّمْعَ لَهُنَّ
سَاعَةَ يَنْجَرِفُ الرّجالُ من جَرْفِ الجَبَلِ
مُلْتَحِقِينَ بِجَيْشِكَ المُتَعَثّرِ بِمُشْتَهيات القُرى
وسَقْطِ السُّبُلِ المَنْهُوبَة.

١٦

نِساءٌ خَفِيفاتُ القَلْبِ ثَقِيلاتُ الحُجَّةِ
كلّما لَمَحْنَ دَمْعَتَكَ الأخِيرةَ في مُقْلَتَيْكَ السّاهمتَيْنْ
طَفَقْنَ في مَطَرٍ يَفِيضُ على الرّأسِ
فيبدأُ جُنُونُ الفَقْدْ.

١٧

نِساءٌ
انْتَهَينَ تَوّاً منْ تَدْرِيبِ المَوجِ على الغَرَقْ
والطّيرِ على الأوجِ
نِساؤُكَ الوَحِيداتُ في اللّيلِ
مَنْ سَيُدْرِكُ أحْلامَهُنَّ المَغْدُورَة،
وأنتَ مُنْخَرِطٌ في رَغَباتِكَ المكبُوتَة
مُنْشَغِلٌ بِدَمَاثَةِ الخَيْلْ؟

١٨

نساءٌ أعلى من يَدِكَ

لنْ تَلْمَسَهنَّ قبلَ أنْ تَضَعَ الضّوءَ في كَلماتِكَ
لنْ تَطالَ الخيطَ المنسولَ من أذيالِهنَّ
وأنتَ في آلةِ الحَرَسِ
تَتَعَثَّرُ بِزُجاجِكَ الثّمل.

١٩

هل تَسْمَع قَهْقَهَةَ المَوْتى
وهُمْ يَتَنَاوبونَ على أعنَّةِ خَيْلِكَ،
يُؤَيّدُونَ رِكابَكَ في لَيلِ الخَرَائِطِ
يُغْوونَكَ بِالمِسْكِ الطّازجِ
والعَنْبرِ النّيِّءِ،
يُمَسِّدُونَ سُرُوجَكَ بِلحاهِمِ الدّبِغَةِ
ويَفْتَحُونَ مَسارِبَ العتْمَةِ أمامَ دَوابِّكَ المأْمُورَةِ؟
تَتَصَاعَدُ ضَحْكَاتُهمُ الشّيْطَانيّة
مُنْشِدِينَ لَكَ المَنَادِبَ في شَكلِ صَلاةِ المَوتى،
هلْ تَسْمَعْ؟

٢٠

يَشْحَذُونَ كَواحِلَهمْ بِخَواصِر خَيلِكَ
يَنْتَبِهُونَ،
يَنْهَبُونَ،
ويَنْتَابُهمُ النَّصُّ:
«مَنْ أحْسَنَ الوَفَادَةَ، نَالَ الرِّفَادَةَ»

٢١

هذا وَقتُكَ،
فَاغمِدْ سَيفَكَ
امْنَحْنَا نِعْمَةَ أنْ نَسْمَعَ نَشِيدَكَ الجَديدَ
ونَنسَى ما يَجْعَلُكَ مَلِيكاً، يَتذكَّرُ أسْلافاً يَنسونْ،
يُحْبِطُنَا
ويُؤَجِّلُنَا
ويُقَايِضُ أخطاءَ العُمْرِ بِنَا.

٢٢

أطْلِقْ خَيْلَكَ
عَبْرَ أزِقّةَ هذا الرّيفِ المهدورْ،
دَعْنَا نَنْسَكَ قليلاً
نَنْصَحُ حُماةَ عَرْشِكَ
كَيْ يَتُوبُوا عَنِ الإلحادِ
ويَكُفُّوا عَنِ السّعي
بأجنحةٍ، تَشْهَقُ في اللّيل، بِلا فَتْوى
نَنْسَاكَ قَلِيلاً، كَيْ تَتَذكَّرْ.

٢٣

لَسْنَا رَعَايَاكَ
ونُوشِكُ أنْ نسأمَ مِنكَ

وأنتَ تمُدُّ المدَى للصَّدى
تُبالغُ في ثِقَتِكَ بصَبْرِنا عَلَيكْ،
لنْ نَدْخُلَ حُرُوبَكَ
لا نُصْغي لِطغيانِ الفَتْوى
وأُصُولِيِّي الحَاناتِ
مَبْعُوثِي إلهٍ، لا يَعْرِفَهَمْ.

٢٤

لَسْتَ إلهاً
لَسْنا عَبِيْداً.

٢٥

لأقْدامِنَا أجْنِحَةٌ تَكْفِي
وطَيْشُنَا بِلا حُدُودْ.

٢٦

لدينا أطفالٌ، نَخْشَى عَليهِم سَطْوَةَ الكُتُبِ
والكَتائِبْ.

٢٧

كلُّ مَا لمْ تَستَطِعْ قولَهُ

تَقُولُه الآنَ
حَيثُ العَرَبَاتُ المكنُوزَةُ
مَشدُودةٌ على مُطهمَاتِكَ الأصِيلاتِ.
تَقُولُه الآنَ
تَقُولُه حَيثُ يَنَالُ فُرسانُكَ حِصَّةَ عَتَادِهِم المُهْمَلِ
لَيسَ ثمَّةَ احتِمالٌ للخَطأ
بَينَك وبَيْنَهمُ الصَّكُّ،
بَيْنَكُمَا ما يُوقِظُ الحَجَرَ في حضنِ الجَبَلِ
يَقْطفُ النَّارَ في القلبِ
فَقُلْ ما تَقُولُه الآنَ
قَبْلَ أنْ تَختَلِطَ عَليكَ شُرْفَةُ القَبْرِ بِوَحْشَةِ القَصْرِ
فَلا تَعْرِفُ
أيّهُمَا لَكَ، وأيّهُمَا عَليكْ
قُلْ ما تَقُولُه الآنْ.

٢٨

قُلْهُ الآنَ
فِيمَا تَخْرُجُ منْ وَهْدَتِكَ
قُلْهُ،
صَوتُكَ يَجْعَلُ كَلِماتِكَ حَيَّةً وقادِرَةً،
فَلا تَنْشَغِلْ بِغَفْلَةِ الصّلاةِ عنْ يَقْظَةِ العَمَلْ.

٢٩

يَحْزِمُونَ أرْضَكَ بالهُجُومِ والجِسْرِ المَكْسُورِ
غُزاةٌ يَسْتَنْفِرُونَكَ للطَّقْسِ والتّضارِيسِ
فَاخْطفْ سِلاحَكَ من العَدُوِّ
ابْتكِرْهُ، واصْقُلْ بِهِ الرَّسَائِلَ،
يَسْمَعُ فُرْسَانُكَ الكلامَ كلّما قُلْتَ
ويَفْهَمُونَكَ كلّما سَعَيْتَ.

٣٠

انْهَضْ مِنْ تَخْتِ الحُكْمِ
انْهضْ منْ بَياضِ السَّرِيرِ
منْ سَدِيمِكَ
وافْتَحْ سَرِيرَتَكَ،
فَرَسُكَ البَيضاءُ في الوَعْدِ
بَيضاءُ مثلَ اليَقْظَةِ في خُرْمِسِ النّاسِ.
انْهَضْ منْ تَخْتِكَ
اسْتَدِرْ بِكَعْبِكَ الصَّلْدِ
وانْحَدِرْ نَحوَ فُرْسانِكَ المُنْتَظِرِينَ
لا نَجَاةَ لَهُمْ بِدُونِكَ
ولا نَجَاةَ لكَ وَحْدَكَ.

تنهّـدات حــارسِ الحُلــم

١

كائناتٌ تَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ،
وتَكْتَشِفُ في حَرَكَةِ الكونِ جَمَالاً مُؤَجَّلاً
كلّما تَيَسَّرَ لها عُضْوٌ في شَهْقَةِ الرّيحِ
نَتَرَتِ الأَيَائلُ أعناقَها بوَرْدَةِ الزّعْفَران،
مُباغِتَةً،
باحثةً عن جَذْرِ الصّوتِ
وشَعرتُ بِدَبِيبِ النّيْزَكِ تَحْتَ أظلافِها.
تَسْمَعُ الصّوتَ الجَسُورَ الصّادرَ من القلبَ
فتأخُذُه القلوبُ قاطبةً.

ثمَّةَ نِداءٌ غَيرُ مَألُوفٍ
يتَصاعَدُ كبُخارِ بُركانٍ مَنسِيّ
مُنسَرِباً في فَضاءٍ شَاسِعٍ،
فَيْضٌ غامِرٌ يَتَلاطَمُ
مُخْتَلِطاً بِحَبّاتِ الرّملِ المُنْثالةِ كَزِئْبَقٍ مِغْناجٍ.

أجسادٌ غَضَّةٌ تَنضَحُ بَراءةً،

مَشْغُوفَةٌ بالأُفُقِ
تَمْرَحُ على مِعْدِنٍ في النّارِ
وتُخْسِنُ البَوحَ
مِثْلَ بَهْجَةِ الذَّهبِ
تَحْتَ طَرْقٍ رَتِيبٍ من حنانِ الحَديْد.

٢

مَنْ يَجرُؤ؟!
كأنَّ الكائنَ الأعظمَ قد انْبَثَقَ بَغْتَةً
يَهِمُّ أنْ يَقولَ شَيئاً
وفيما أَخَذَتِ الأيائلُ تَضَعُ الصّوتَ
على دَوْرَةِ الدّمْ،
والعَضَلاتُ يَنْتَابُها عاجُ العَقْلِ وفَزَعُ القَلبْ،
فَتَحْتَدِمُ الكائناتُ
مُتَدافِعَةً في مداخلَ لا مَرْئِيَةٍ،
لا تُدْرِكُ
ما إذا كانتْ تَهِمُّ بالخُرُوجِ مِنْ مَكانٍ أمْ الدُّخُولِ فيه،
وفي لَحْظَةِ تَقاطُعِ بُرْجِ الوَلَعِ ببُرجِ النّسيان
نهضتِ الكائناتُ وهي تَخْلَعُ قُمْصَاناً مُضَمَّخَةً بالصَّهْدِ
وجَسَارَةِ الطَّرْقِ المَشْحُونِ بالوفاء.
التَفتَ الكائنُ ليرى الغُبارَ المُثارَ في مواقعِ حُلمِه،
هَمَّ أنْ يَقُولَ الكلامَ، فسَبَقَتْهُ الكِتابَةُ،
وطفِقَ سِربٌ رَهيفٌ مِنَ الفَراشات يَتَغلْغَلُ بِرَشَاقَةِ الهواءِ

فتضحَكُ شمسٌ، تُوشِكُ على الاكتمال مِثْلَ برتقالةٍ في صَيْفِ النّار،
شَمْسُ تَهْطُلُ
كَمَنْ يَمْسَحُ زُجاجَةَ القِنْدِيلِ بِرداءِ الآلهة.

يا اللهُ،
ارأفْ بأيائِلِكَ المَهْدُورَةِ،
وافسحْ لها مَكاناً في الكتابْ.

٤

وَضَعَ شَخْصٌ عَيْنَيْهِ في بَياضِ كِتابٍ،
لا لِيَرَى،
لا لِيَقْرأ،
لكنْ، لِيَلْثُمَ النَّصَّ بِسَوادِ عَيْنَيْهِ
ويَمْنَحَ دِفْئاً لِكلماتٍ
تَغَرْغَرَ بِها حُلمُهُ في وَرْدَةِ الجُنونْ.

٥

سَمعَ النّحيبَ،
سَمعَ قَهْقَهَةَ أطفالٍ، يَتَصاعَدُونَ من نَومٍ كَثيفٍ،
سَمعَ الحُروفَ تَقْرأُ المعْنَى، وتَهْطُلَ دَمْعاً
سَمعَ الغَيْمَةَ الشّفيفَةَ تمُرُّ بينَ صدْغَيْهِ، وزَغَبَ وَرَقٍ يَجْهَشُ،
سَمعَ وَحْشاً أعمَى،
فَمالَ بِعُنُقِهِ المُتْعَبَةِ، لِيَنالَ قِسْطاً مِنْ رَاحَةِ القلبِ على أرِيكَةْ.

٦

عَيْناهُ مُشْرَعَتانِ
مِثْلِ ذِئبٍ يَتَدَرَّبُ على النَّومِ
في مَشارِفِ الغَابَةِ،
أيْقَظَهُ ضَوءُ قِنْدِيلٍ شاحِبٍ، يَتَأَرْجَحُ
كَمَنْ يُضَلِّلُ فِتْيَةً، يَفِرُّونَ من جِهَةٍ
يَبْحَثُونَ عن جِهَةٍ أخْرَى.

رَفَعَ رَأسَهُ المُتْعَبَةَ
لِيَلْمَحَ تِلكَ المَرْأَةَ
ذَاتَ الوِشاحِ الأصفرِ
تَحْمِلُ قِنْدِيلَها، وتَهْدِي الظَّلامَ
لِيَهْجَعَ باكراً.

سَمِعَها تَهْمسُ لِكائِنٍ غَيرِ مَرْئِيٍّ:
يَتْرُكُونَكَ، لِكَيَ تَنسَى،
يَنسُونَكَ
وأثَرُ حَدِيدِهِم على جَسَدِكَ.

تَخْتَبِرُ قُدْرَتَكَ على النِّسيانِ
لكي يَقِفُوا في ذاكِرَتِكَ،
تُخَفِّفُ مِنَ الوَهْمِ عنْ كاهِلِكَ،
يَنسُونَكَ،
تُدَرِّبَ ذاكِرَتَكَ على النِّسْيانْ.

٧

وقبلَ أنْ يَستَدِيرَ، لِكيَ يَستَطلعَ الطّريقَ،
طوى كِتابَه المَطرُوحَ على الحُلمْ،
وطَفَقَ يَحْنُو بأصابعهِ على حَرِيرِ الصّفحاتِ ورَقَةً بعد وَرَقَةٍ،
بِهَوادَةِ مَنْ يَقرأُ الوَصِيّةَ،
والنَّصُّ في التّرْتِيلْ.

٨

مَاءٌ ثَقِيلٌ يَتَسَرّبُ في تَلافِيْفِ أصابِعِهِ،
ثمّةَ أخبارٌ تُرِيدُ امْرَأةُ البيتِ أنْ تَقُولَها للمارّةِ في ظَلامِ المكانْ،
غَيرَ أنّها لا تريدُ أنْ يَكونَ ذلكَ عَنْ طَرِيقِ الكلامْ.

تَعْرِفُ فَصَاحَةَ الصَّمْتِ وَوَزْنَهُ،
الإصْغاءَ، ومَتْنَه.
للمرأةِ صَمْتٌ فادحٌ
اعتادَتْ أنْ تُخاطِبَ بِه نَاسَ المكانِ والوقتْ.

٩

- هل أنتَ سادِنُ الفِكْرِ؟
- لا، أنا حارِسُ الحُلمْ.

ناحية «حانةُ الذِّئب»(*)

١

بَغْتَةً،
هذه غُرْفَةُ الكَوْنِ مُشْرَعَةً
وأنا نَجْمَةٌ فَازِعَةْ.

٢

تَحْتَ عَيْنَيْنِ غَامِضَتَيْنْ
تَهَجَّيْتُ غَيْماً صَدِيقاً،
شُرْفَتانِ على جَنَّةِ الله
تَارِيْخُنا المُسْتَثَارِ
وأرْجُوحَةٌ في انْكِسارِ الهَواءِ،
عَيْنانِ تَسْتَعْصِيَانِ على النَّصِّ
مَبْذُوْلَتَانِ لِتَأوِيلِنَا
ومَنْذُورَتَانِ لِماءٍ ونَارٍ
كأنَّ الغِناءْ.

---

*) حانة قديمة، تقع في شارع StorkWinkel في برلين، بالقرب من بيت الشّاعر عام ٢٠٠٨.

٣

شَجَرُ العُزْيِّ يَحْرُسُنا،
بَاردٌ، والغُصُونْ،
تُؤَثِّثُ أخْطاءَ أقْدامِنا،
نَتَعَثَّرُ بالرِّيح،
تَجاعِيدُها الغائِرَةْ،
شَجَرُ الثّلْجِ يَغْفُو على بابِنا
مِثلَ أرْصِفةٍ يانِعَةْ.
وتَنْتابُنا شَهْوَةُ الكَشْفِ
نُطلِقُ أحْلامَنا في الجُنُونِ
ونَرْتابُ مِمّا يُفَسِّرُ أخبَارَنَا،
نَحْتَمِي بالمَعاجِمِ
مثلَ الدّلالاتِ في لُغَةٍ ضائِعَةْ.

٤

تَفْتَحُ الشّمْسُ بَوّابَةَ الغَيْمِ يَومَ الأحدْ
قَبْلها .. لا أحدْ ..
.. مِثلُها يَنْتَمِي للحَدِيقَةِ
أو يَحْتَمِي بِالأبَدْ.

٥

رَسَمَتِ الطّفلةُ طفلَتَها

في زُجاجِ الفَرَحْ
وبكَتْ عندما طفَقَ العَابِرُونَ
يمُرُّونَ في غَفْلةٍ
ثُمَ يَنسونَ أطفالَهم
في رَصِيفِ المَرَحْ.

٦

تَنْثَنِي غَيْمَةٌ على أثَرِ العابِرين
تَنْحَنِي بالحَنينِ الذي يُوقِدُ الذّاكرَةْ
مثلما يَبْرقُ النّومُ بالحُلمِ
مثلما تَنْهَرُ الخُضْرَةُ النّاظِرَةْ
غَفْلَةَ السّاهِرِينْ.

٧

يَسْمَعُونَ لنا
أنَّ شَخْصاً هُنا
يَتْرُكُ ألوانَه في الظّهيرَةِ
كيَ يُقْنِعَ الشّمْسَ بالنّومِ
ويُصْغُونَ،
أنَّ الحَدِيقَةَ لَيسَتْ سِوى فِكْرَةٍ، خَطَّها
ذلكَ الشّخْصُ
كي يَمْدَحَ الشّمْسَ في تَخْتِها.

٨

ثمّةَ ما يُغرِّرُ بالكَوكَبِ السّادِرِ في السّدِيمْ
لِئَلا يَأخذَ مَجْراهُ
مِثلَ حَقّ، لا يُؤْخَذُ مَأخَذَ الجدْ.

٩

لا تَقُلْ للغُبارْ
عَنَاوينَ أخْبارِنَا
لا تَقلْ للمَساءِ الذي خَلْفَنَا
أنَّ بَيْتَاً بَعِيداً سَيَنْتَظِرُ اللّيلَ
كيَ يَسْتَعِيدَ الغَرِيبَ
ويأخُذَ ناحِيةً للنَّهارْ
لا تَقلْ للّذِينَ انْتَحُوا يَسْألُونَ الجَوابَ
أنَّ لِلحُلْمِ أخْطاءَهُ
ولْلحُلْمِ أسْمَاءَهُ
وللحُلْمِ، لَو يَعْرِفُ السّادِرُونْ،
حُزْنَه المُسْتَثارْ.

١٠

تَنْشَأُ امْرَأَةٌ مِثلَ رِيْفِ الزّهَرْ
في مُنْعَطفاتِ المَدِينَةِ
تَبْذُرُ ألْوانَ ذاكرتِها في الأروقةِ

وتَرْزَعُ الوَسائِدَ النَاعِسَة
في أديمِ اليَقْظَةِ
تُنَبِّهُ العِطرَ النَائِمَ، لِكَي يَنْهَضَ
وتَنْهَرُ الفِضَّةَ عَنِ الشَّكْوَى
وابْتِكارِ الذّرَائِعْ.

امْرَأَةٌ
هي بَرْزَخٌ، يَصِلُ الوَقْتَ بِالمَكانِ
تَقُولُ لِلكِتابَةِ سِرَّها
ولِلنَّصّ أنْ يُصْغِي لِنُواحِ النَّدِيمِ السّاهِمِ
والنّادِلِ الثّمِلْ.

١١

عِمْ مَساءً، أيّها البَهارُ
واغْمُرْ بِنَفْحَتِكَ السّاحِرَة
مَنْ له حُظْوَةٌ لَدَيكْ
أيقظِ الرُّوحَ بالنّكْهَةِ
واصْقَلْ هذه القناني المُترنّحَة
بِنَبِيذِها المَنسِيْ.

أيّها البَهارُ الكريم
وأنتَ تَصْرَخُ باللّهَبِ
لِئَلا يَهْدَأ العَمَلُ

لا تَنْسَ النّارَ،
وأنتَ تُوقِظُ الفتنَةَ
كُنِ الرّمْزَ الغَامِضَ في شَهْوة الشّفَاهِ
تهيّأْ للغَيمِ
قَبلَ القُبلَةِ وبَعْدَها،
مثلَ جَمْرَةٍ، تُرِيدُ أن تُطفئَ شَغَفَهَا
فتقولُ الجَحِيمَ.

عِمْ مساءً
وكَلِّم المَبْهُورِينَ بِعطرِكَ،
شعوبٌ مذهولةٌ
في جُزُرٍ مَنْسِيّةٍ
في مَجَرَّةٍ، لا تَعْرِفُ أنّها في التّيهِ والسَّدِيْم.

١٢

تَضَعُ المَرْأةُ قَصْعَةَ العِطْرِ
ويَرتَاحُ قَلبٌ
مِنَ التَّعَبِ المُرِّ،
تَفّاحَةٌ حُرَّةٌ، طَلَعَتْ بَغْتَةً
في الكِتابِ
كأنَّ الطَّرِيقَ،
سَيأخُذُ دَفتَرَنَا في التّلاشِي
هنا،

في الأقاصِي
سَيُنْقِذُنَا طائِرٌ في الحَرِيقْ.

١٣

عتْمَةٌ في كِتابٍ قَدِيمٍ
مَقاعِدُه الكَالِحَةْ،
تَسَعُ الكأسَ والرَّأسَ
تَنْسَى خطَايَاكَ
تَعْفُو عَنِ السَّهْوِ
تَقْرَأُ أعْمالَكَ الصّالِحَةْ،
كُلّما ابْتَسَمَ النّادِلُ الشّهْمُ
كَيَ يُحْضِرَ الخَمْرَ لَكْ
قَبْلَ أنْ يَسْألَكْ.
ضائِعٌ في ظَلامِ الكِتابِ
وتَخْلُطُ في تَعَبِ اليَومِ والبَارِحَةْ.

١٤

أصْدِقاءُ تَحْتَدِمُ بِهم السّجَالاتُ
تَزْدَحِمُ بِهم الحَانَةُ،
حتّى إذا ما أوشَكُوا على إصْلاحِ الكَونِ
طَفَقَتِ المَجَرَّةُ في نَشِيدِ التَّذَمُّرِ،
وتَكَفَّلَ الذِّئْبُ بِتأوِيلِ أحلامِهِمْ.

هناكَ الذي لي

هُناكَ،
حيثُ فَرَاشَةُ النّيرانِ
في قَمِيصِها الأصْفَرِ النّظِيفِ

حَيثُ يَخْتَبِئُ الأرنَبُ وقَرينُه
في الإبطِ بضوئِه البَاهِرِ

حيثُ قَنْدَةُ الله تَنتَظِرُ
في غُرفَةِ الكَنزِ المكنُونِ

حيثُ حصَّةُ العَسَلِ
في شَفَتَينِ مُدَرَّبَتَينْ على القَوسِ
كلّما تَرَكَتِ النّحْلَةُ ذَخِيرَتَها لامتِحانِ العَمَلْ

في السّريرِ الذي يَطِيرُ مِثلَ هَودَجِ العَاصِفَة
حيثُ جَسَدانِ مِنَ الجَمرِ يَكتَشِفانِ المُعجِزاتِ
ويَتَذَوّقانِ الخَمرَةَ المُقَدَّسَةْ

فِي سَاقَيْنِ مَحلُوبَيْنِ مِنَ القَمَرْ
حيثُ الشَّهوَةُ الفَصِيحَةُ طَرِيقُ الشَّهْدِ

هناكَ .. هناكَ .... في مَهَبِّ الجَنَّةِ
حيثُ يَفِيضُ العَسَلُ الكَثِيفُ
يَركَعُ ناسِكٌ مَشبُوقٌ
يَصقُلُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبٍ وما تَأَخَّرْ
يَنتَابُه التَّرنُّحُ لِفَرطِ الله
ويجهَشُ في بُكاءِ مَنْ نَالَتْهُ الشَّهوَةُ العَفِيفَةْ
يَتَهَدَّجُ في خُشُوعِ مَنْ تَضَرَّعَتْهُ الآلِهَة.

هناكَ،
حيثُ الشَّهْدُ الكَرِيمُ
فضَّةُ الوَهْجِ
تَطْفُرُ وتَطِيشُ وتَرقَى
فَتُوشِكُ فَرَاشَةُ النّارِ على حَرِيقِ الجَسَدْ.

وردةُ الذّئاب

انظرِ الآنَ، ماذا فَعَلْتَ بِوَردَةِ الذّئابِ؟
تَاجُكَ في شَفِيرِ الغَابَةِ،
لَهَا بِكَ الوَهْمُ، وعَبَثَتْ بِأخبَارِكَ خَطِيئَةُ الحُلمْ.

تَحاجَرْتُمَا بِمَا لا يُعطَى، وما لا يُؤخَذُ
يَنتَابُها نَومُ الشَّهوَةِ ويَقظَةُ الهَوى
فَتَنالُكَ طَبِيعَةُ البَاسِلِ
لِتَفُوزَ بَنَجاةِ الجُنُونِ، ونُورِ الحِكْمَةْ.

بَينَكُمَا صَمتٌ كَثِيفٌ
مثلَ رَعدِ الأعالِي
تَتَبَادَلانِ الإشارات
مثلَ أجِنّةٍ، تَبتَكِرُ البَوحَ
بَينَكُمَا الوَحشُ الفَاتِنُ
بَينَكُمَا ما بينَ النّصلِ والوَرِيدِ
بَينَكُمَا خَشيَةُ الفَقْدِ ولَهفَةُ الرُّوحِ .. بَينَكُمَا.

تمُدُّ ذِراعَ الغَرِيقِ

فَيَطَالُكَ الموَجُ والنّيْلُوفَرُ المكْنُونْ.
تَحتَجُّ بالمكانِ
فتُصَاب بالوَقتِ ...
الوقتُ والأقاصِي.

انظرِ الآنَ، مَاذا فَعَلْتَ بِوَردَةِ الذّئاب
أنتَ الذي تَقَمَّصْتَ الحَيوانَ والطّيرَ والغَابَةَ،

آنَ لكَ أنْ تَرفُلَ بالحَرِيرِ والنّيرانِ ورَحمَةِ العاصِفَةْ.

انظرِ الآنَ،
تَاجُكَ تَصْقُلُه الغُيُومُ، وجَواشِنُكَ ضَحِيّةُ البَهجَة الخَفِيفَةْ،
كأنَّكَ لَمْ تَعرفِ الحُبَّ، ولَمْ تَنتَخِبِ النّبِيذْ،
رُوحٌ في التّرنّحِ، وجَسَدٌ في حَقِيبَةِ المَرَضْ،
وردةٌ خَبَّأتَها في غُرفَةِ الملَاكِ،
صَارَتْ لكَ آلةَ الماءِ،
تَضَعُها في عُروَةِ القَمِيصِ
قَبلَ أنْ تَذهَبَ إلى النّومْ.

ها أنتَ قَرِينُ الشّظَايَا مِثلَ لُغمٍ يَنفَجِرُ بينَ يَدَيْكَ
في حضنِكَ المُوحِش
في الرُّكنِ الحَمِيمِ من جَسَدِكَ المُوشِكُ على الهذيانْ.
ها أنتَ تمَتَدُّ مِنْ شَخصٍ يَغْتَالُه العَدُوُّ

وشَخصٍ تَنتَظِرُه المَرائي،
تمَتَدُّ من صَديقٍ نَافِرٍ، إلى فَرَسٍ تَهشِلُ
تَضَعُ التَّجربَةَ بَينَ عَينَيْكَ والكَلامْ.

انظرِ الآنَ، ماذا فَعَلْتَ بِوَردَةِ الذِّئابِ.
في صَحرَاء مَحكُومَةٍ بالنّسيانِ وبَرَاكِينِ الذَّاكرَة.
أوشكتَ، إلا قليلاً،
أشرفتَ، إلا قليلاً،
أشفقتَ...،
لولا فُسْحَةُ اليَأسْ.

تمَاهَيْتَ عَنها بِالمُستَقبَلِ، لِتُصَابَ معها بالحَجَرِ الكَريمْ.
وعندما كادُ الوَقتُ والمكانُ،
تَحَدَّرَ الشَّلاَّلُ عَليكَ في البُرْهَةِ النَّادِرَةْ،
أنتَ الذي تَجَرَّحَتْ حَنْجَرَتُكَ لِفَرْطِ الصَّمتِ.
أنتَ الذي حَمَلتَ سِرَّكَ في مَوْضِعِ الرّوحِ
نَظَرْتَ إلى الشّرْفَةِ كَمَنْ يَرى إلى المُستَحِيلِ التّاسِع.
لا أنتَ من الرّعِيَّةِ، ولا تَطَالُكَ شَرِيعَةُ النّاسِ
لكنَّكَ بَالَغتَ في مَدِيحِ المَلِيكَةِ أقلَّ،
وأكثرَ قليلاً من نَصِيبِكَ في نُزْهَةِ القَصْرْ.
وحِينَ تمَاثَلْتَ لِلمَوتِ
وَضَعَتْ يَدَهَا على قَلبِكَ المُنْتَفِضِ مَثَلَ نِعْمَةِ الهَواءْ.
فَتراءَتْ لَكَ الجَنَّةُ، وصَدَّقْتَ أنَّ لَكَ الرّيحَ والجَنَاحْ.

لستَ الفارسَ،
ولمْ تكُنِ الفَرِيسَةَ، ولا عِلَّةٌ بِكَ غيرُ العشْقِ.
مثلَ شَخْصٍ يَشْحَذُ الكَلِمَةَ في شُرْفَةِ الخلْقِ.
يَدٌ مَمْدُودَةٌ في وَحْشَةِ الكَونْ.

يَدُها الكَرِيمةُ عَليكَ،
وعَليكَ الرّحْمَةُ،
انظرْ ماذا فَعَلَتْ بِكَ وَردَةُ الذّئابْ.

الأغاني الصّغيرةُ للأميرةِ ذات الخيال

١

هذي هَدِيّتُنا إليكْ
ذَرِيْعَةُ المُسْتَقْبَلِ المَفْقُودِ
نَفْقِدُها جُنُوناً
أو نُصَلّيها ... إليكْ.

هَديّتُنا
لكي تَحْنُوَ على بَشَرٍ
بِهذا الكَوكَبِ المَفْؤُودِ
أنْ تَرْفَعَ سَمَاءَكَ عَنْ كَواهِلِنَا

تَمِيْمَتُنا الأخِيرةُ
طِفْلَةٌ تَخْطُو على مَهلٍ
ونَفْقِدُها ... إليكْ

٢

مَرّةً

مَرَّتِ الرِّيحُ، واسْتَأْنَسَتْنِي

مَرَّةً
كنتُ في هَوْدَجٍ
في جَنَاحٍ
وبالغتُ في الأوجِ
فاختالَتِ الأرضُ حتّى رَمَتْنِي

مَرَّةً
مَدَّتِ الرِّيحُ نِسْيانَها في صَعِيدٍ مِنَ النّومِ
مَنْ يَعْرِف الآنَ تأويلَها؟
رِيشَةٌ في المَهَبِّ
تَذَكَّرتُها ... أمْ نَسَتْنِي

٣

يومَ انْتَظَرْنَا أنْ تَعُودِي قَبْلَ خَيطِ اللّيلِ
قبلَ النّومِ، لا يَغْفُو بِكِ
يا وَرْدَةً تَحْنُو على الصّخْرَةْ
ما لِلحِجَارَةِ؟
ما الذي تَنْسَاهُ أمْ تُفْضِي بِهِ
في عتمَةِ الفِكْرَةْ؟
هلْ تَحْلُمِينَ بِنَجْمَةِ الغاباتِ
في وَحْشٍ، يُؤآنِسُكِ؟

تَعالي،
في انْتِظارِكِ،
مَنْ لنا في مُلْتَقانا يُكْمِلُ السَّهْرَةْ

٤

ماذا تقولُ الوَحِيدَةُ للغَيمِ؟
ماذا تَقُولُ؟
خَضْراءُ؟ أمْ فِضَّةٌ؟
أمْ رُؤىً في النّهارِ؟
كأنَّ الأُفُولَ، وَشِيْك
كأنَّ القُرى المُسْتَباحَةَ
مَذْهُولَةٌ تَسْتَجِيرُ
بآخِرِ حُرّاسِها
بالوَحِيدةِ في الغَيمِ
بالمُسْتَحِيلِ يَرُجُّ الأُصُولْ

٥

في المُنْتَهى،
في شَفِيرٍ مِنَ الرّمْلِ
في الشّمْسِ تَمْدَحُ أخبَارَنا
في الهَزِيعِ الجَمِيلِ من الوقتِ
يَنْتابُنا الحُبُّ

تَنْهَضُ أعْضَاؤُنا

مثلَ عُشْبِ الأساطِيرِ

تَبْدَأُ فِينا الحَياةُ

... مِنَ المُنتهى

٦

أثَرُ الشّخْصِ

يَشُفُّ أمْ يَتَحَاشَى

ذَهَبٌ ذاهِبٌ

والذي يَحْجُبُ الشّخْصَ عَنْ شَخْصِهِ

شَبَحٌ تَقَمَّصَنا ... أو تلاشَى

٧

شاعِرٌ مقْعَدُ الخَلْقِ

تَرَكَهُ العاشِقانِ

خَشَبٌ مِنَ الحُزْنِ النّحِيلِ

فائِضُ الحَسْرَةِ

عَرْشٌ تَرِبْكٌ

و لهُ آيةٌ في الكِتابِ.

بَعْدَ دَرْسِ الحُبِّ

لمْ يزَلْ طازَجاً مِثْلَ خُبْزِ الأطْفَالِ

مِقْعَدٌ يَجْلِسُ وَحْدَهُ
يَنْذلُ رَحَابَتَه الشّاسِعَةَ
يَسَعُ الطّبِيعَةَ
تَصْقُلُه الرّيحُ
زِينَتُه الفَضَاءُ
شَجَرَةٌ تَسْهَرُ على حِرَاسَتِه
شَاغِراً رَشِيقَاً
ويَتْرُكُه العاشِقانِ
هَدِيةً لِراحَةِ الكَونِ
شُرْفَةُ الجَنَّةِ في رِعايَةِ الرّيحْ

٨

نامِي،
رُوحِي تمُوجُ على قَمِيصِكِ كالهيامِ
مُنْسابَةً،
كَيَدٍ مُحَنَّاةٍ، تُبَدّدُ لي ظَلامِي
لا أنتِ في حُلمٍ
ولا في شَهْوَةٍ
قُومي مَعِي
نَهْتَاجُ في ليلِ النّهارِ
كَجَنَّةٍ يومَ القِيامِ
صَحراءُ، أمْ تَهْوِيدَةُ التّكْوِينِ
أمْ مَوْجٌ تَهَدَّجَ بِالكَلامِ

٩

كلّما تَوارَيتُ عَنْها تراءَتْ لِقَلبِي
مَنَحتُ لها الأرضَ، كيَ تَنْتَهِي
ما انْتَهَتْ

بَذَلتُ لها الماءَ، كيَ ترْتَوي
ما ارْتَوَتْ

لها اللهُ
شاسِعَةٌ مُشْتَهاةٌ
لماذا أتَتْ؟

١٠

وحدَها الشّمْسُ
هذه الطّفْلَةُ الشّاهِقَةُ
تَكْشِفُ الظِّلَ وقَرِينَه

قليلاً قليلاً
لئلا تَحْجُبَ الشّمْسَ عَنّي

١١

ضائعٌ في فَجِّكِ العَمِيقِ

ثمِلٌ
تَتطوَّحُ رَأسِي لِفرْطِ اليَنَابِيعِ

جَسَدٌ شاسِعٌ
يَجْلِسُ في عَرْشِ الرَّمْلِ
ويُعْلِنُ الذَّهَبَ قِنديلاً لِسَهرَةِ الوقتِ
يَقُودُ الحَيَوانَ لِحَشِيْشَةِ البَهاءِ
ويُضَلِّلُ النّاسَ بِماءِ الأَقاصِيص

١٢

تعالَ، يا صَدِيقِي
هذه طِرِيقُنَا
فلا أحد يَضِيعُ في بَيْتِه
الآخَرُونَ تائِهُونَ
لأَنَّهُم لَيسُوا نَحنُ
تَقَدَّمْ، ولا تَقلَقْ
فَإنْ كانَ ذلِكَ ظِلّكَ
سَوفَ يَتبَعُكْ

١٣

خارِجٌ مِنْ ظلامِ الطّرِيقِ
عَينَاكَ مَأخُوذَتَانِ

وجَمرُكَ في الرُّوحِ
في شَهوَةِ الاندلاعِ المُؤَجَّلِ
في زَعفَرانِ البَريقْ
خارِجٌ للحَريقْ

١٤

مَنْ يَسألُ الرّملَ
مُمعنَاً في شَاغِرِ المَكانِ
مثلَ زُجاجٍ يَتَذَكَّرُ مُسْتَقْبَلَه قَدَحَاً بَعدَ قَدَحٍ
تَقُولُ له النّصِيحَةَ
فَيُقَطِّبُ لَكَ الحَاجِبَيْنِ
مُتَظاهِراً بالصّحْراءِ
مُتَفَادِياً حِكْمَةَ الماءِ

رَمْلٌ طائِشٌ، لا يَسْمَعُ الكَلامَ
لا يُصْغِي لِمُفَسِّرِي أحزَانِه
ويَعُبُّ عَطَشَهُ كاملاً
يَحتَلُّ البَيتَ في بَسَالَةِ الغُزاةِ
ويُوشِكُ على البُكاءِ
لِفَرطِ الوَحشَةِ

١٥

شَجَنٌ أليفٌ

مثلَ تَغَضُّنَاتِ الحُبِّ في دَفتَرِ الله
مَنْ يَقرأُ الشّخصَ
والجَسَدَ الآدَمِيّ الشّرِيدْ.

تَجاعِيدٌ في عتمَةِ المُشتَهى
فتنَةٌ في الطّرِيقِ البَعِيدِ،
آهِ
ما أبعَدَ الوقت
ما أجمَلَ المُنْتَهى

١٦

ماذا ستفعلُ في الدّارِ وحدَكَ؟
أخبارُكَ مَفقُودَةٌ
والنّاسُ يَنْسونَ
والرّيحُ لا تُستَعادُ،
فمَاذا سَتَفْعَلُ وَحدَكَ في الدارِ،
يا رَملَنَا الذّهَبِيّ الغَرِيب؟
ماذا سَتَفْعَلُ خَلْفَ الحِجَارَةِ والهَجْرِ
والأزرَقِ المُستَرِيبْ؟

١٧

يا سِدْرَةَ الله

ماذا تَقُولُ لكِ وَحْشَةُ الكَوكَبِ المُخْتَفِي؟

وماذا تَسُرِّينَ للأَزْرَقِ المُسْتَهامْ؟

يا سِدْرَةَ الله في اللّيلِ؟

مِنْ أينَ يَبْدأ أو يَنْتَهِي

مُسْتَحِيلُ الكَلامْ؟

لماذا تَفِرُّ الغُصُونُ بأخْبَارِنا

في طُيُورِ الظّلامْ؟

١٨

لكَ الآنَ مُحْتَمَلُ الأغنيّاتِ

ولي جَنّةٌ، تَحتَفِي باللّغاتِ

أيَها القُرْمُزيُّ الصّغيرُ

انْتَظِرْ رَيْثَمَا نَصْقُلُ الماءَ

ربّما نَلْتَقِي في المَرَايا

كأنَّ الحَياةْ

١٩

أشعَلُوا لهُم قَناديلَ القَلبِ

حُرّاسُ النّارِ

وسَدَنَةُ النّومِ والجَحِيمِ

نادُوهُمْ بأسمَائِهِمْ

بالقُمْصَانِ عَينِها

وبالنّحِيبْ
وقَنْدَةُ الشّمْسِ والظّهِيرَةِ
الذينَ كلّما شَبَّ شَوقٌ في أفئِدَتِهم
واندَلعَتِ الأهازِيجُ
شَفَّ زُجاجُهُمْ عَنْ رُوحٍ وَحِيدةٍ
في جَنَّةِ الجَسَدِ

٢٠

الفَرَاشَةُ ذاتُ الوِشاحِ
سَوْدَاءُ في اللّيلِ
وسَوْدَاءُ في ظَهِيرَةِ الطّرِيقِ
طَارَتْ بِكَ الرّيحُ
وانْدَاحَ لكَ الرّملُ
بِخَطوِكَ الخَفِيفِ مثلَ التّرَاتِيلِ
سَيَسْأَلُ العابِرُونَ
عَنْ وَرْدَةِ الطّرِيقِ ذاتِ الوِشاحِ
تَزْعُمُ أنَّها الفَرَاشَةُ
وتَتَظَاهَرُ بِرَشاقَةِ الضّوءِ.

٢١

لا أسْمَعُكَ، أيّها البَابُ الأهْتَمُ
ولا أفْهَمُ صَبْرَكَ كلّ هذا الوَقْتْ

لسْتَ مُوصَداً، لِكَي تَحْجُبَ
ولا مُشْرَعاً، كَيَ تَبُوحْ
أحْجَارُكَ عَتِيقَةٌ في الدّارِ والجِدار
ومَبْذُولَةٌ في العَتَبَةِ
لَيْسَ ثمَّةَ حُدُودٌ بَينَ طِينِكَ القَدِيمِ
وخَشَبِكَ العَجُوزِ
أيّها الأهْتَمُ
تَتَلَعْثَمُ بِتَهدُّجِ الكَلامِ
وتَرْدَرِدُ شَيْخُوخَةَ النّاسِ

٢٢

الأجوبةُ ليْسَتْ هنا، أيّها الطّفل
إنّها هناكَ
في زُرْقَةٍ تَكْفَهِرّ، وتَغيمُ، وتَصْفُو.
الأجوبةُ اللّجُوجَةُ في البَرْزَخِ
بينَ حَدِيدِ النَّصِّ
وحُدُودِ المَعْنَى

٢٣

قِيافَتُكُما لائِقَةٌ
وأنا في الانْتِظارِ
لكَيَ نَبْدأ النّزْهَة

نَذهبُ لِنَفْتَحَ الحَياةَ مَعاً
هناكَ
القَرْنُ الجَديدُ في انْتِظارِنَا
لَعَلَّهُ يَكْفِي
ونحنُ جَدِيرُونَ بِه
هل تَسْمَعانِ وتَرَيانِ .. مِثْلي؟

٢٤

أعطيتُ طِينَ الله أشْكالي
ومَنَحْتُه لُغْزَ الطَّبِيعَةِ، كيَ يَفُضَّ السِّرَّ
كيَ يَسْمُوَ على صِلْصَالِه
أعْطَيْتُه أسْمَاءَ أطْفالي
وحِكايَتي:
ماءٌ ودَوْرَةُ دَوْرَقٍ
وفَدَاحَةُ العَطْشَى
ومُحْتَمَلانِ .. في بالي.

٢٥

كيفَ انْتَهى النّسيانُ بي
كيَ لا أرَى قُفْطانَكِ الرّمْليَّ
يَفْضَحُ وَحْشَةَ الأحْدَاقِ
يَرْتَجِلُ الغِيابَ

يمُجّدُ الضّحَكَاتِ؟
ذَاكرَةُ الحِجَارَةِ
والكُوى مَكتُومَةٌ
يَا مُنتهى مُستَقبِلِ النّسيانِ
كيفَ احْتَالَ تَارِيخٌ عَلَيكَ
وحَوَّلتْكَ طَبيعَةٌ
ورَحَلْتَ عَنّي
لا أرَاكَ
ولا أرَى في غُرْبَةِ الهِجْراتِ غيرَكَ؟

٢٦

لا أحَدٌ لا أحَدْ
كَوكَبٌ مُوحِشٌ إلى هذا الحَدِّ
يَنبُتُ العُشْبُ في كَسَلٍ،
تَنامُ البُحَيْرَةُ بِلا أحْلامٍ
وتُفَكّرُ الطّبِيعَةُ في الذّهابِ
والحَجَرُ حُرٌّ أكثَرَ مِنَ الرّيحِ
ثمّةَ خَفْقَةُ رِيشٍ لأجْنِحَةٍ غائبَةٍ

٢٧

لماذا يَأخُذُ الأطفَالُ شَكْلَ الله
وأخلاقَ الملائكَةِ الصّغارِ

ونَكْهَةَ الجَنَّةِ؟
لماذا يَمْنَحُونَ الشِّعْرَ
طَعْمَ الزَّعْفَرَانِ وكأسَ ماءِ الوَرْدِ
والمَعْنَى؟

لمَاذا عندما يَنْهَالُ وَقْتُ الماءِ
تَبْرَأُ زَهْرَةُ الغاباتِ
في النَّصِّ المَرِيضِ
ويُوقِظُ التّفّاحَ أحْلاماً لنا
ويُؤَلّفُ الأطفالُ أسماءً
وأخباراً لنا في غَفْلَةٍ كالحُبِّ؟

نَبْقَى وَحْدَنا
في مُنْحَنَى الأحْلامِ
نَسْتَعْصِي على نِسْيانَنَا
ونُؤَثّثُ التّأوِيْلِ
نُمْعِنُ في طُفُولَتِنا البَعِيدَةَ
كي نَراها في الصّدَى
والبَابُ مَفْتُوحٌ على عُنوانِنَا
فاذهبْ بِنا، يا أبيضَ العَيْنَيْنْ
يا الوقت الرّحيم
ودَعْ لنا في شُرْفَةِ النَّصِّ القَدِيمِ
قَصِيدَةً أو خِصْلَةً

تَنْثَالُ في مَرَحٍ
تَرَيَّثْ بُرْهةً
أو دَعْ لنا تَرنِيمَةَ الرّقْصِ الصّغيرة
ربمّا نرنو بِها في لَحْظَةٍ .. دَعْنا.

ليلُ الأسرى

جاء لنا ليلٌ زاخرٌ بالأسْرى
انتظرناهُ طوالَ النّهارِ
حتّى إذا ما انْدَلَعَ
فَتَحْنَا له النّوافِذَ، لكي يَدْخُلَ،
يَدْخُل، ويُوَزّع أسْرَاهُ
في مَقاعِدَنا الشّاغِرَة
في غُرَفِنا المؤَثَّثة بالحَسْرَةِ والانتظاراتْ.

كُنا نَنْتَظِرُهُ بالقَرائِنِ
في سَنواتِ النّهارِ الطّويل.

أسْرَى يَتَلَعْثَمُونَ على المَقاعِدِ التّائِهَةِ
في أرجاءِ البيتِ
ونَحْنُ نُحاوِلُ تَفْسِيرَهم بالكُتُبِ
والمَحابرِ وخِزانَةِ التّبْغْ.
مَألوفُونَ في المَرايا
يَتَفَلّتُونَ مِنْ صُوَرِهم المَفْقُودَةِ
لكنّنا لا نَفْهَمُ ظِلالَهُم

لم نُصادِف أسْرَى مَذْعُورِينَ مِنْ قَبْل
ولم تَعْرِفْ أصابِعُنَا أرْغِناً، يَحْتَدِمُ عاجُه
بِمِثْلِ هذه النّيازِك مِنْ قبْل
وقَبْلَ هذا البُكاءِ المُوصَدِ على أحْداقِنا
لم نَتَوَقَّعْ ليلاً زاخِراً بالنّدَمْ.

الكأسُ في الرّأسِ

بَنفسَجَةُ اللّيلِ/ أذكُرُ أنيِّ أمُوتُ قَليلاً، وأصحُو، كَمَا يَخلَعُ الوَقْتُ قُمْصانَه، ثُم يَلْهُو بقائمَةِ الأصْدِقاءِ/ أمُوتُ قَليلاً، وألْهُو/ بَنفسَجَةُ اللّيلِ / ظَنَّ الذينَ / تُرى ما الذي يَجْعَلُ المَاءَ أرْجُوحَةً هَكَذا في الإناءِ؟ / التَهُوا بِالنّبيذِ العَتيقِ يُؤَجّلُ / كُنَّا سَنَنْسَى / وظَنَّ المُصابُونَ في الذّاكِرَة، بِأنَّ الخَنَاجِرَ والخَاصِرَةَ عُرضَةٌ للمَزَادِ / وظَنَّ الذي / كلّمَا غَادَرَ الأصدقاءُ هَتَفْنَا / بَنَفْسَجَةُ اللّيلِ / واللّيلُ ذِئْبٌ بَريءٌ، لَهُ في الشّراكِ، له في الشّباكِ الوَسِيعةِ / ظَنّ بأني سَأنسَى دَمِي/ كانتِ الكَأسُ في الرّأسِ / كُنا نُمَرِّغُ أحْلامَنا في تُراثٍ، يمُوتُ قَلِيلاً، ويَصْحُو / وكُنَّا / لَهُمْ أنْ يُقِيمُوا السّرادِقَ أنْ يَستَبيحُوا / لَهُم أنْ يُدِيرُوا التّواشِيحَ في الشّمْسِ / لي أنْ أُهَيِّئَ نَخبَ المَراثِي / لَهُمْ كلّ شَيءٍ لَهُم / ثُمّ لي شَهْوَةُ اللّهو والموتُ / كيفَ اسْتَحالَتْ يَدِي بيرقاً / كيفَ أُعْطِي بَنفْسَجَةَ اللّيلِ أعْذارَها مثلَ ماءٍ يُؤرْجِحُ أخْبَارَه في الهَوَاءِ؟

قُلْتُ / كانوا يَقُولُونَ كيفَ انْتَهَيْتَ هُنا، ثُم صَدَّقْتَ؟ / في الأرْضِ مُتّسَعٌ لِلْخُطى والخَطايَا / سَأرْتَكِبُ الرّؤْيَةَ الآنَ، أُعْطِي لأطْفَاليَ الوَقْتَ، كيَ يَفْضَحُوا شَهْوَةَ الغَدْرِ في الحُلْمِ / أُعْطِي لِحُرِّيَّةِ الوقْتِ وَقْتاً، وألْهُو قَليلاً، لَعَلّي / بِلادٌ لها كلّ هذي التّراتِيلُ، لابُدّ أنْ تَحْتَفِي بِالذي سَوفَ / قُلْتُ الجَنَازَةُ تَسْمَعُ أخْبَارَنا، ثُمَ تَبْكِي عَلينَا لِفَرْطِ الخَجَلْ / قُلْتُ هذي البَقَايَا الوَحِيدَةُ تَفْرَعُ في بَهْوِ بَيْتِيَ مِثْلَ الأمَلْ.

تُرى كيف يُصْبِحُ هذا التّراثُ الجَميلُ اخْتِلاجاً؟ / نَسيتَ / تَشَهّيْتَ أنْ تكْتُبَ النّخْلَ في غَفْلَةٍ / هلْ نَسيْتَ؟ / لقد كنتَ تَسْأَلُ عَنْ صَخْرَةٍ في الجَبَلْ / نَحَتَتْ ليلَها في ذِراعَيْكَ / تَسألُ عَنْ طِيْنَةِ الأَصْدِقاءِ الذينَ / تَذَكَّرْتُ قَلْباً / تَذَكَّرْتُ / لي في بَنَفْسَجَةِ الأَصْدِقاءِ احْتِمَالٌ ولِلَّيلِ أنْ يَذْكُرَ الآنَ كُلَّ الدّماءِ التي سوفَ / لِلْغَدْرِ هذي الدّماءُ الحميْمَةُ / تَهْذي، وأحْمِلُها مِثْلَ قَلْبٍ، سَيَقْرأُ بِاسْمِ الضّحايا / لَهُمْ أنْ يُعِدُّوا الوَليْمَةَ / أنْ أنْتَهِيَ في البَنَفْسَجِ، في اللّيلِ، في شَهْقَةِ الخَلْقِ، في جَنَّةٍ، لا تُطالْ.

لَهُمْ / كُلّ شَيءٍ لَهُمْ /
ثُمّ لي كُلّ هذا النّبيذُ /
لي الكَأسُ والرّأسُ /
لي في آخِرِ اللّيلِ حَقُّ السّؤالْ.

رقصةٌ طائِشَةٌ

سَتُسَمِّينَ انْتحابي عِنْدَ عَيْنَيْكِ نَهاراً كامِلاً،
ليلاً وحيداً
وتُسَمِّينَ يَدِي أرْجُوحَةً مَفْقُودَةَ الحَبْلَيْنِ
تُصْغِينَ قَلِيلاً
رَيْثما يَنتابُنِي مَوتِي
وأنسى أنَّنَا كُنّا مَعاً، في وَرْدَةٍ، في الكأسِ
هل كُنَّا نُرَوِّضُ رَقْصَةً طاشَتْ بِنا
مِثْلَ اشْتِعالِ النّارِ في مَاءٍ وأجْنحَةٍ؟
يَدِي أرْجُوحَةٌ لِيَدَيْكِ
سَمِّينِي كَما يَحْلُو لِعَيْنَيْكِ البُكاءُ
أَجِّلِي مَوْتِي قَلِيلاً
ربّما في صَدْفَةٍ
نَبْكِي مَعاً حُزْناً عَلى أحْزَانِنَا
ونُؤَثِّثُ البَاقِي مِنَ الأحْلامِ بِالمَنْسِيِّ مِنْ أخْطائِنَا
لِكَأَنَّ تَفْسِيراً سَيَمْحُونَا، وتَأْوِيلاً سَيَكْتُبُنَا
يَدِي أرْجُوحَةٌ، وبُكائِي المَكْبُوتُ في عَيْنَيْكِ
سَمِّينِي كَمَا سَمَّيْتِ لي يَوماً
قَصَائِدِيَ الغَرِيبَةَ

كالطُّفُولةِ، وهي تَسْتَغصِي على الأسْمَاءِ

سَمِّينِي
فلي حَقٌّ بِخَيْطِ قَميصِكِ المكْتُوبِ
لي في سِرِّكِ البَاقِي تَفاصِيلٌ
ومحتملُ المُصَادَفَةِ الوَحِيدَةِ، وهِي تَحْدثُ
في تَبَادُلنا النّيازِكَ مِثلَ أُغْنيّةٍ، بِلا رَقْصٍ.
أمُوتُ على يَدَيْكِ، وَوَرْدَتِي في الكَأسِ
سَمِّيْنِي نَحِيباً فَادِحاً
وتَخَيّلِي خَيْطاً يُزَوِّجُنِي بِكأسٍ، يَسْكُبُ النّسيانَ
كيَ أنْساكِ
سَمِّينِي
فلي في نَصِّكِ المكْبُوتِ حَرْفٌ عَابِرٌ
ويدٌ مُضَمَّخَةٌ بِخبرٍ غَامِضٍ
أُخفِي نَحِيبِي في كِتابِ اللّيلِ
أمْضِي شَارِداً، وأُحاوِلُ التّمْييزَ
بَيْنَ تَهَوُّرِ المَعْنَى وبَيْنَ رَصَانَةِ التّعْلِيلِ
سَمِّينِي
نَهاراً كامِلاً يَبْكِي
وليلاً يَرْفُضُ التّأوِيلْ.

خذني أموتُ على يَدَيْكَ

١

خُذني،
سَتَأخُذُكَ المَسَافَةُ مِنْ يَدِي
ويَنَالُني لَيلُ المَدى
وأظَلُّ وَحْدِي.

٢

خُذني
كأني وردَةٌ، غَادَرتَها لَيْلاً
لِتَهْذِي في ظَلامِ النَّصِّ،
أسْرَارِي مُؤَجَّلةٌ،
وبَابي مُوصَدٌ
والمَوتُ بعدي،

خُذني، وحِيدَتُكَ الوَحِيدَةُ
أخْتَفِي في دِفئِكَ اليَومِيِّ

يا وَحْدِي هُنا
والنّارُ بَرْدِي.

٣

خُذني
خَطِيئَتُكَ الجَميلَةُ
كيَ أنَامَ على يَدَيْكَ
وأنْتَ تُوقِظُ شِعْرَكَ المَجْنُونَ
تَقْتلُنِي قَصِيدَتُكَ النّحِيلَةْ

٤

خُذني .. وأنْتَ مُسَافِرٌ
خُذْ ما تَبَقّى لي مِنَ النّسْيانِ
كيَ تَمْحُوَ بِذاكِرَتِي غِيابَكْ،

خُذني لِقَنْدٍ في لِسانِكَ
أو سُؤالٍ في جَوابِكْ.

٥

خُذْ ما تَبَقّى
يُشْعِلُ القَنْدِيلَ في أحْلامِكَ الفُضْحَى
فَلا يَجْتَاحُنِي صَمْتٌ لَدَيكَ

أنا البَعِيدةُ في جِوارِك.

خُذني،
سَيأخُذُني جَحِيمُ النّومِ عَنْكَ
وخُذْ بَقايَا رَغْبةِ القَامُوسِ في تَفْسِيرِ نارِكْ.

٦

مَنْ يَرتَجِلُ تَأويلَ أحْلامِي سِواكَ؟
مَنْ يَبْتكِرْ عُذْراً لأخْطائِي سِواكَ؟

ومَنْ سِوايَ سَيخْتَفِي في لَيلِ وَصْفِكْ؟

أيّها المَجْنُونُ بِي
خُذنِي
أمُوتُ دَقِيقَتَينِ
أُجَنُّ لَكْ ..
وأُؤجِّلُ الباقِي لِحَتْفِكْ.

٧

لو أنَّ ما يَبْقَى لنا، يَبْقَى،
لأمْضَيتُ القَصِيدَةَ في جِوارِكْ
ولكُنْتُ بَشَّرْتُ الطّبِيعَةَ

كي تُبالغَ في انتِظارِكْ
لو أنَّ ما يَبْقى لنا، يَبْقى
تَبادَلتُ الكِتابَةَ بِانتِحارِكْ.

٨

هل كُنْتَ تَتْرُكُني
وتَذْهَبُ في بَعِيدِ النّاسِ وَحْدَكْ؟
هل في جَسارَتِكَ الجَمِيلةِ
أنْ تُغادِرَ
والسَّماءُ حَدِيقَتي،
والأرْضُ حَدُّكْ؟

٩

خُذني قُبَيْلَ المَوتِ .. تَقْرِيباً
فَلا يَنْتابُني خَوْفٌ عَلَيكْ
خُذني
سَتَبْكِيني وَحِيْداً
ثُمَّ تَبْكي مُنْتهايَ على يَدَيْكْ
خُذني تُؤرجِحُني الوَصَايا
مُسْتَحِيلاً رَابِعاً، يَمْضِي إليكْ
خُذني
أذُوبُ كَشَمْعَةِ القِدِّيسِ مُنْتَظِراً
كَماءٍ في يَدَيْكْ.

١٠

خُذْني
لِنَقْرَأَ نَصَّكَ الآتي مَعاً
وأُموتَ، مِنْ شَغَفٍ عَليكْ.

قلبٌ لتحيا، قلبانِ لكي تُحِبّ

لِعَيْنَيْنِ ساهِرَتَيْنِ على الحُبِّ
جَنَّاتُ فَقْدٍ ومُحْتَمَلاتٍ
لأحْلامِنَا
لِلَونِ الحَنِينِ الرّهِيفِ الذي صَاغَنَا

وما تَبَقّى مِنَ الوَقْتِ لَكْ
للأغاني التِي ادَّخَرَتْها مَلائِكَةُ النّومِ
لأجْمَلِ أسْرَارِنا
للمُنى المَسْتَثارَةِ

طفلٌ سَيُزْهِرُ في شَجَرِ النّاسِ

ما سَوفَ يَبْقى مِنَ الوقْتِ لَكْ

لمَنْفَىً صَغيرٍ يُؤَجِّلُنا
للمُنَى الضّائعاتِ
لبَعْضِ اللّغاتِ الصّدِيقَةِ
كَيْ تَتفَهّمَ أخْطاءَنَا

لِمَنْ نَالَهُ طَيْشُنَا في الكِتابِ الأخِيرِ
لِكُلِّ احتِمَالاتِنَا
هَيَّأتُ نَافِذَةً في السَّمَاءِ
للعَبِيرِ المؤَجَّلِ
للبيتِ بَعدِ السَّفَرْ

وما يَتَبَقّى مِنَ الوقْتِ لَكْ

لِمَوْج، لأَوْج،
لئلا يَطالَ سِوى الماء،
غيماً لنا، وهو يهطل
كي يرسمَ اللهُ قلباً لنَحيا
وقَلْبَيْنِ للحُبّ
عرساً لِجَنَّتِنا الوالهة.

ويبقى لكَ الوقتُ، ما أجْمَلَكْ.

الثّلجُ في الخارج

قلبي بمُفْتَرقِ الطّرِيقِ
ووَحْشَةُ الغَاباتِ تَحْرُسُنِي
أضِيعُ مُوَزّعاً
شَغَفاً بِقَلْبِ حَبِيبَتِي
ودَفاتِرُ الأشْجَارِ أسْمَائِي هنا
والثّلْجُ في الخَارِجْ

حُرِّيّةٌ في النّايِ شَاخِصَةٌ
تُزَخْرِفُنِي بِأحْلامٍ مُبَلّلَةٍ
ونَهْرٌ جَامِحٌ،
هاتِي يَداً
وقِلادَةً للرّيْحِ،
قُلْتُ لها،
لكِ البَاقِي هنا
والثّلجُ في الخَارجْ.

كلّما نامَتْ يَدٌ
نَهَضَتْ يَدٌ سَكْرَانَةٌ

بادَلتُها نَخباً جَدِيداً، كي تُؤَجِّلَنِي
لَعَلَّ زُجَاجَةً أُخرى
كَرَاسٍ مُثقَلٍ بالحُزنِ
تَأخُذُنِي على مَهلٍ
وتَنسَانِي بِمُنعَطَفِ المَدى
«رُوحِي فِداكَ عَلِمتَ،
أم لَمْ تَعْلَمِي»
والثّلجُ في الخَارِجْ.

للأصدِقاءِ طَرِيقَةٌ في الحُبِّ
يَحلُو أنْ يُسَمّوني
ويَنسُونيَ مُصَادَفَةً
ويَبتَكِرُونَ لي بَيْتاً غَرِيباً
ضَاحِكَ القِنْدِيلِ
والمَعْنى مُغامَرةٌ
ولي وَحْدِي
يَدٌ مَرفُوعَةٌ
والثّلجُ في الخارج.

أبكِي بِلاداً شِبهَ ضَائِعَةٍ
وفَجْراً مُوحِشاً
وبَقِيّةُ الأسماءِ ذائِبَةٌ

وأسْمائِي عَلانِيةٌ هنا
مُلْتَاعَةٌ
يَنْتَابُنِي جَسَدِي
ويَغْشَانِي نَبِيذٌ غيرُ مُكْتَمِلِ
وطَيْرِي تَائِهٌ في الرِّيحِ
والمَعْنَى يُخَالِجُنِي
ووَحْدِي
في صَلاةٍ غَيرِ عابِئَةٍ
والثّلجُ في الخَارِجْ.

يا سَيِّدَ الغَابَاتِ
يا ثَلجَ المَلاكِ
وجَنَّةَ الرّؤيا المَرِيْضَةِ
هلْ يَدِي مَنْذُورَةٌ؟
وَحْدِي هنا
والثّلْجُ في الخارِجْ

الشاعر

يكتبُ كما لو يَجْلِسُ على صَهْوَةِ حُصانٍ
تَسمعُ صَهيلَ نُصُوصِهِ
ويَطفُرُ في وَجْهِكَ صَهْدُهُ النّازلُ.

قَدَمَاهُ تَخُبَّانِ في رَمْلٍ
ورَأسُهُ مُنْتَعِشٌ في الرِّماحِ
يَتَطَوَّحُ
والكلامُ يَفِيْضُ ويَتَطايرُ ويَشْهَقُ
يَناديهِ غَيْمٌ
فلا يَسْمعُ،
رِئَتَاهُ مشْرَعتَانِ لِصَوتِ الأقاصي
ليسَ لاسْمِهِ حُرُوفٌ، ولا يَفْهَمُ اللّغَةَ،
يَكْتُبُ، وكَعْبُه في خاصِرةِ الخَيْلِ
فَرَسٌ تَهْشُلُ بِهِ، وتَطِيرُ
وذِراعَاهُ رِيْشٌ شَاهِقٌ.

سَمَّيناهُ مِثْلما يأخُذُ النَّبِيُّ الحِكْمةَ
مِثلمَا يَنْهرُ الماءُ وَحْشَةَ الأرْضِ

سَمَّيناهُ،
وأخَذنَا أخطاءَ الحَقْلِ لِمَأدُبَتِه.

كُلّمَا تَقَدَّمَتْ بِه الخَيْلُ
تَوَغَّلَ في نَصِّهِ،
وأفْضَى بِنا إلى التِّيهِ
يَضِيعُ، فَيُضِيءُ بِنَا عتْمَةَ الكَوْنِ
قَنَادِيلُه في سَفَرٍ وإقامَةْ.

صَوتٌ واهِنٌ يَسْعَى مِثلَ نَبِيذٍ يُؤَرِّخُ
مُكْتَظّاً بالمَنْحِ والهِباتِ والهَدايَا
قَرابِينُهُ في المَذْبَحِ الغَرِيبِ
لَهُ في كُلِّ نارٍ جَمْرَةٌ ورَمَادٌ
وعَليه أنْ يَخْرُجَ
دائماً عَليه أنْ يَخْرُجْ.

هل أنتَ في الكون؟

إلى طرفة بن العبد

لا أحدٌ يدركُ كُنْهَ السّؤالِ
سوى مُوغِلٍ في الغيابِ
ولا أحدٌ يَسْتَحِقّ اللّحاقَ بأخبارِنا الهَارِبَة
غيرُ أحْلامِنا الكاذِبَةْ

لا أحدْ،
لا أنتَ في عتْمَةِ النَّصّ
ولا فِهْرَسٌ في كِتابٍ
ولا فِضَّةٌ ذائِبَةْ

هل أنتَ في ما تَبَقّى مِنَ الكَوْنِ؟

لَيْتَ الذي يَرْسُمُ القَوسَ لي

يبْتلي بالضّروريّ مِمّا تبقّى مِن المَسْألَةْ
لَيْتَهُ يُدْرِكُ،
أو يَتَدارَكُ، حِكْمَتَنَا المَائلَةْ
لَيْتَهُ،
وهو يُمْعِنُ هَنْدَسَةً في المُحالِيْنَ للموتِ،
يُصْغِي لِهذا الأنينْ،
لَيْتَهُ يَكْشِفُ الكائِنَ الأوّليّ
ومَنْ أوّلَهْ
ويَشْرَحُ للمُؤمِنِينَ بِهِ

سَامَحَ اللهُ ..،
كيفَ تَسَنّى لَهُ أنْ يُؤَنِّثَ فِينَا الشّظَايا؟
وكَيْفَ تَيَسَّرَ وَقْتٌ، يُؤلّفُنَا في الكتابِ؟
وكيفَ تَرَاءَى لَهُ القَتْلُ مُسْتَقْبَلاً؟
وكيفَ تمَاهى؟
على غَفْلَةِ الله، في مَقْصَلةْ؟

هل أنتَ في مُسْتَحِيلٍ مِنَ الكَونِ؟
هل تَهكَّمْتَ في حَضْرَةِ اللهِ؟
هل فَاتَكَ المَوْتُ فِيمَا تَدَافَعَ تِسْعُونَ نَحْوَ القَذِيفَةِ
يسْتَجوِبُونَ رَسائِلَها؟

هل تضرَّعتَ كيْ تَضعَ الحرْبُ أوْزارَها؟
وكي يَنْدَمَ الشّهداءُ قَليلاً
ويَبْتَهِجَ القَاتِلُونَ
وتَجْهَشَ ثاكِلَةٌ، وهِي تَقْرَأُ أخْبَارَها في الغُمُوضِ
وهل يَعْرِفُ اللهُ أسْرَارَها؟
هل أنْتَ، يا سَيّدَ الكَونِ..
في الكونِ .. كالسّنبلةْ؟

زجاجة الكوثر

سَيَرُوقُ لَكْ
أَنْ تَفْتَحِي في زُرْقَةِ المَلَكُوتِ شُرْفَةْ
فَاللهُ يَنْتَظِرُ المَلَاكَ يَضِيعُ في أفْلاكِهِ
عُودِي لَهُ، لِيَنَالَ خَوْفَهْ

سَيَرُوقُ لكْ
أَنْ تَسْتَعِيرِي مِنْ حَدِيقَةِ دَارِهِ
أخبارَنَا الوَحْشِيَّةَ العَيْنَيْنِ
كيفَ تَرينْ؟

لا تَتَأخَّرِي
جَفَّ الهَوَاءُ
وطَاشَ في أقْدَاحِنَا رَمْلٌ
وأنتِ زُجَاجَةُ الكَوْثَرِ
هاتِي شَهِيقَكِ بَاكِراً
لا تَغْفَلِي عَنَّا،
هنا عَطَشٌ
فَلا تَتَأخَّرِي أَكْثَرَ.

كَثِيفُ الوَجَلْ

١

لماذا يَنْبَغِي دائِماً أنْ نمُوتَ قَليلاً؟
لكي نَنْتَمِيَ للهَواءِ
لماذا يُؤَجِّلُنَا يومُنَا للقَصِيِّ مِنَ الذِّكرياتِ؟
لكَيْ يَنْتَهِي لَيلُنا في المَساءِ
لماذا، إذَنْ، جَاءَتِ الرّوحُ
في جَسَدٍ فَاسِدٍ، والدّواءُ؟
تَفَاصِيلُ، لا يُدْرِكُ القَلبُ كُنْهاً لَهَا.

٢

كابَرْتُ كيَ تَنْهَضَ الكلماتُ بأعبائِها،
نَالَنِي بالتّأوِيلِ سِحْرٌ وتَعْوِيذَةٌ
وانْثَنَى في دَمِي مُسْتَحِيلُ السّمَاءْ.

٣

لماذا تُسَمُّونَ أخْبَارَنا نُزْهَةً في الخَدِيعَةِ
والمَوتُ في المُنْحَنَى؟

كلّمَا بَالغَ الماءُ في وَهْمِهِ مَسَّنَا
بَارِقٌ مِثْلَمَا يَخْلَعُ النّومُ أحْلامَهُ
كانَ في وسْعِنَا
أنْ نَمُوتَ على مَضَضٍ
عندما جُنَّتِ الأرْضُ
واسْتَنْفَرَ الوردُ في عِشْقِنَا
كانَ في وسْعِنَا أنْ نُضَلّلَ سَهْوَ الأدِلاءِ
كي يَتْبعُوا خَطْوَنَا
كانَ.
لكِنَّنَا
مِثْلمَا يَصْعَدُ النَّصُّ بُرْجَ التّفَاسِيرِ
ضَاعَتْ بِنا، وانْتَهَيْنَا
ومِتْنَا قَلِيلاً
ومَرَّتْ بِأخْبَارِنَا عَرَبَاتُ الرّواةِ
كأنَّ تَفَاصِيلَنَا خَلْفَنَا
شَاهِدُ النَّفْيِّ في نَصِّنَا.

٤

أيّهُا المُسْتَهامُ بِمَا يَجْعَلُ اللّونَ في حُمْرَةِ الخَدِّ
رَاياتُنا في الخَجَلْ،
أيّهُاذَا الأمَلْ،
هلْ أنتَ يَأسٌ لنَا؟ أمْ علَينا؟
وهلْ نَنْتَخِيكَ لِكَيْ تَفْتُكَ الرّوْحُ

بالجَسَدِ المُسْتَثارِ؟
لَيْلُنا في النّهارِ
وتَارْيخُنَا عَابِرٌ في بَرِيدِ الأَجَلْ.

٥

يا كَثيفَ الوَجَلْ
يَنْبَغِي دائِماً أنْ تمُوتَ قَلِيلاً
وتَترُكَنَا نَنْتَهِي في المَلَلْ.

معراجكِ ومُشتهاكِ

إلى موزه خليفة الشملان

١

أكتُبُكِ، بِغِبطَةِ المَفْقُودِ،
تَارِيخاً يَقْرَؤُهُ النّجّارُونَ في شَجَرِ السّهْرَةِ
ويَصْقُلُهُ مُهَنْدِسُو الخَشَبِ في سَفِينَةِ الوَقْتِ،
زَيْتي قَنَادِيلُ الحُبِّ
في قَلْبِ المُسافِرِ الغَرِيبِ وبَيْتِ الحَالِمِ المُقِيمْ،
أبْذلُ الذّرَائِعَ للمَأخُوذِينَ
لِئَلا يَثِقُوا بمَصَادِرِ الأسْئِلةِ ومَذاهِبِ الأجْوِبَةْ،
فلا تَنَالُ الغَفْلَةُ مِنهُمْ، ولا يُصِيبُهُمُ
السّهْو،
مَأخُوذُونَ بِكِ، لا تَأخُذُهُمُ السّهْرَةُ عَنِ الفِكْرَةِ
يُؤَثّثُونَ غَابَتَهمُ بِالبَاقِي مِنَ الذّعْرِ لِفَرْطِ المَعْرِفَةِ
مُؤَسّسُونَ،
مُقِيمُونَ عَلى عَهْدِهِم في الأمَلِ
لِفَدَاحَةِ العَمَلْ

يَذهَبُونَ إلى شَمسِهم في لَيلٍ كَثِيْفٍ، وعَصْفٍ بَائِنٍ،
يَثِقُونَ في الشّكِّ
فَيَسألُونَ القَدَمَ قَبلَ الطّرِيقِ وبَعْدَهُ.

***

أهْمِسُ لكِ بِشَغَفِ المَكْبُوتَ
لِئَلا يَنالَ اليَأسُ مِنْ أمَلِ النّاسْ.

***

هذا بَيْتُكِ الفَاتِنُ مِثلَ شَمْسٍ عَلى الكَونِ
لا تَغْفَلي عَنِ البَهوِ والشُّرْفَةِ
بَيْتُكِ ودَارُ أحْلامِكِ
ومُسْتَقَرُّ عَمَلِكِ ومِعْراجِكِ إلى مُشْتَهاكْ.

***

أسْألُ لَكِ الأسْئِلةَ،
وأتْرُكُ لِبابِكِ المُوارَبِ حَقَّ الذّئبِ في الثّقَةِ،
أصْقُلُ لَكِ البَيْتَ والطّرِيقَ،
أحْضُنُكِ بِزَفِيرِ الكَشْفِ وشَهْوةِ المَعْرِفَةِ،
فَيَتَطايَرُ الشَّرَرُ مِنْ عَيْنَيْكِ لِفَرْطِ ما يَنالُكِ مِنَ الدَّهْشَةِ
فَتَتَصاعَدِينَ مِثلَ شَغَفِ المَمْسُوسِينَ بِالبَرْقِ،
جُنُونٌ لَهُمْ، وجُنُونٌ عَلَيهِم.

***

يَلْهَجُ لكِ البُرْتُقالُ بِالأزْرَقِ،

وتَتَضَرَّعُكِ المَهاوِي بِتَضارِيسِ الأَوْجْ،
دَعِينِي أَضَعْ لَكِ جِسْرَ الجَسَدِ وشُرْفَةَ الرُّوحِ
سَاعِدِينِي على التَّحْدِيقِ في شَمْسِكِ
مُؤمِناً بِكِ كافِراً بِالضَّالِعِينَ،
افْتَحِي لي صَدْرَكِ، واصْغِي لِدَمٍ، يَشُفُّ عَنْكِ
وقَمِيصٍ مَهْتُوكٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
افْتَحِي شُرْفَتَكِ لأطفالِكِ وأبناءِ أطفالِكِ
واتْرُكِي بابَكِ مُشْرَعاً على آخِرِهِ
لا يُخْطِئُه الطَّيرُ، ولا تَغِيبُ عَنْهُ عَرَبَةُ العشْقْ.

يَسْأَلُكِ النَّاسُ عَمَّا يُفْسِدُ أَحْلامَهمُ في اللَّيلِ، وأشْغَالَهُمُ في النَّهارْ،
وحدَكِ تَمْلُكِينَ ما يُغْنِي عَنِ اليَأسِ، ويَصُدُّ البَرْدَ
تَسْمَعِينَ الألوانَ وهِي تَنْتَخِبُ لَكِ العَزْفَ
تَجْهَشِينَ بأطفالِكِ وأبناءِ أطفالِكِ
فَيَنْشَؤُونَ مِثلَ حَدِيقَةِ البَيْتِ مَغْسُولِينَ بِرَغْوَةِ اللَّبَنْ.

تَرَفَّقِي بِطِفْلِكِ وطِفلِ طفلِكِ
واشْفقِي على حَسْرَةِ النَّصِّ في رُوحِي
انْظُرِي إلى مِرآةِ غَيمِكِ
تَرينَ شَخْصاً، يَذهبُ مَغْمُوراً بِكِ
مِثلَ شَيخٍ يَهْذِي، ويَهْجُرُ
شَخْصاً يُحْسِنُ المزَاعِمَ
ويَقْصُرُ عنْ أحْلامِه الشَّاهِقَةِ

شَخْصاً مَأسُوراً بِغِوايَةِ الدّلالَةِ
مَأخُوذاً بِزَفِيرِ العَسَلِ في مَزِيجِ السّهْرَةِ
شَخْصاً يمُوتُ قَليلاً، كُلّمَا خَرَجَ مِنَ الحُلمْ.

٢

ما الذي يُشْبِهُكْ
عندَما تَجْلُسينَ على شُرْفَةِ الكَونِ
مَأخُوذَةً بِالخَجَلِ القُرْمُزِيِّ
تُضيئِينَ عالمَهمْ كَرَماً
بِلا مِنَّةٍ، تَجْرَحُ الرّوحَ؟

هلْ تُرى شَمْسهُمْ تُشْبِهُكْ؟

ما الذي يُشْبِهُكْ؟
كلّمَا اغْتَسَلَ الأشْقِياءُ بِمائِكِ
فِيما تَمِيلينَ بِالكَأسِ في الرّأسِ
كيَ تَتَرنَّحَ أعْضَاؤُهُمْ
شَغَفاً بِالذّرى
هلْ تُرى خَمْرُهُمْ يُشْبِهُكْ؟

ما الذي يُشْبِهُكْ؟
حِينَ يَهْتَاجُ في جُرْحِكِ الغَضّ مَا يُشْتَهى
حِينَ تَطِيشُ الفَراشَةُ في عتْمَةِ الضّوءِ

حينَ تمُسِّينَ بالحُلمِ المُستثارِ المَدَى
أجُنُّ بعَينَينِ مَأخُوذَتَينِ
أمُوتُ قَليلاً .. قَليلاً بما لَسْتُ أدْرِي
كأنَّ الحَياةَ التِي في دَمِي .. تُشبِهُكْ.

ما الذي يُشْبِهُكْ؟
تَهْمُسِينَ الحَكايا مِنَ القلبِ
سَاعَتَها ..
كلّمَا قُلتِ لِيَ .. صِرتُ لَكْ
تَمْسَحِينَ البُكاءَ عنِ النّاسِ
سَاعَتَها ..
مِثْلَمَا يَفْعَلُ اللهُ بِي
هل تُرى سِحْرُه يُشْبِهُكْ؟

لولاك في الجغرافيا

إلى عبد القادر عقيل

لولاكَ في الجغرافِيا
لَنَسَيْتَ وَقْتَكَ
لَولا انْتِعاشَةُ رُوحِكَ اليَقْظَى
وزَهْرُ الشّوْكَرَانِ
وجَمْرَةُ البِلّورِ
كُنْتَ انهَلْتَ مِثلَ كَتيبَةِ الغُزْلانِ
في عَينِ الشّراكِ
وقَضَيْتَ وحْدَكْ

لولاكَ في الجغرافيا
لنسيتَ تَاريخاً لِدَرْسِ النّاسِ
والمَعْنَى الأخِيرِ لِجَنّةِ الدّنيا
وصَلّى خَلْفَكَ الكُفّارُ
لولاكَ انْتَهتْ في دَفْتَرِ الأخْبَارِ أسْماءٌ
وطَاشَتْ فِكْرَةٌ، تَرْبِيكَ في جوْخِ الخَلِيفَةِ
وانْبَرى جَيْشٌ، يُؤَبِّنُ ما تَبقّى في بَرِيدِكَ

واسْتَعانَتْ لَجْنَةُ الرّؤيا بِتَأويلِ الهِلالِ
لكي تَراكْ.

لولاكَ في الجغرافيا
لولاكَ في الجغرافيا.

سَدِيمُ الفَلَكْ

إلى أمين صالح

يا سَدِيمَ الفَلَكْ
ما الذي يَجْعَلُ النّاسَ مُرْتَابَةَ القلبِ
كي تطمئنّكَ في خَلْقِها، نَجْمُها في الحَلَكْ؟
ما الذي يَجْعَلُ الكونَ أرْحَبَ من رَحْمَةِ العَاشِقِين
وهُمْ يَغْفِرُونَ لنا السّهوَ
يَسْتَنْفِرُونَ المَلائكَ
كي تَجْعَلَكْ ..
.. رَائِياً؟
يا قَرِينَ المَرايا التِي تَصْقُلُ النَّصَّ
هلْ قُلْتَ حُلْماً لمَنْ يَجْهَلَكْ؟
قالتْ لي الشّمْسُ
والنّارُ والنّهْرَوانُ
عَنِ الزّعْفرانِ يُزَخْرِفُه النّدَمَاءُ
ويَنْتَخِبُونَ الزّجَاجَ
فَمَنْ قَالَ لَكْ؟

ليتَ لي في كِتابِ السّمَاواتِ
ما وَاتَتِ الرّيحُ رُوحِي
ولا رَاقَ لِلمَوتِ، يَأتي طَفِيفاً
لكي يَسْألَكْ:
ما الذي أجَّلَكْ
لكي تُنقِذَ اللّيلَ مِنْ نَومِهِ
وتَغْسِلَ مَاءَ الصّداقَاتِ؟
ما أجْمَلَكْ!

غَرِيبٌ، ووَحْدَكَ،
وَحَشُ الأقَاصِي أليفٌ على ضِفَّتَيْكَ
وتَسْعَى إليكَ التّأوِيلُ
سُبْحانَ مَنْ أوَّلَكْ.
فَمَنْ، بِالعَنَاصِرِ، أغْرَاكَ؟
مَنْ خَصَّني بالجَواشِنِ،
بِالأبْجَدِيَةِ كامِلَةً،
بِالنِّهاياتِ تَبْدأُ،
بِالنَّصِّ والشّخْصِ؟
لَيْتَ الذي صَاغَنِي مِنْ جَهَنّمَ
يُطفِئُنِي بالجَحِيمِ
لِكَي يُخطِئَ المَوتُ عُنوانَهُ
لَيْتَ لي / لَيسَ لكْ.
تَبَجَّلتَ بالحُبِّ

عَيْنَاكَ مَأخُوذَتَانِ
بِمَا يَمْنَحُ القَلبَ تأوِيْلَه المُسْتَهَام
كأنَّ الكلامَ الحَمِيمَ
تَرَاتِيْلُكَ المُصْطَفاة
يا قَرِينَ المَلَكْ
نَجِّنَا في الهَلَكْ
سَوفَ يَنْتَابُكَ الوَقْتُ
أرْجُوحَةً في مَهَبِّ النّيازِكِ
يَنْتَابُكَ النَّصُّ
حتّى تَرى ما يَرى الأنْبِياءُ
وما يَكْشِفُ اللهُ لَكْ.

لا تَدَعْها تَنْكَسِرْ

إلى حفيدتي أمينة

سَاقُكَ الرّشيقةُ بِوَتَرِها الرّهيفِ المَلْفوفِ بِلَحْمٍ شَفيفٍ، سَاقُكَ التي هِي قَصَبَتُكَ الرّكيزَةُ المُنْسَابَةُ بَينَ الجَسَدِ المَغْرُورِ والأَرْضِ المَاكِرَةْ.

سَاقُكَ التي تَحْمِلُكَ مُنْذُ اليَقْظَةِ حتى النّومِ، تَرْأفُ بِحَرَكَتِكَ اللامُباليةِ، وتَزِنُ بِكَ الهَواءَ كُلّمَا انْتَفَضْتَ ظانّاً أنّكَ النّسْرْ.

سَاقُكَ تَزُورُكَ مِثْلَ بَيْضَةِ القَبّانِ،

وتُدَوْزِنُ حَرَكَتَكَ اللاهِثَةَ، بِلا اكْتِراثٍ، مُنْدَفِعَةً نَحْوَ الاتّصالِ والوَصْلِ، حَرَكَتُكَ تَذْهَبُ بِكَ غافِلةً عن الوَسائِطْ.

وسَاقُكَ سَاقُكَ، مِيزانُكَ، يَقْظَةُ أعْضَائِكَ، لا تَغْفَلُ عَنْكَ،

عَبْرَ الوقْتِ والمكَانِ،

مَحْمُولاً في رَاحَةِ الرّحِيلِ، وأنتَ لا تَعِي، ولا تَتَعَلَّمْ.

سَاقُكَ القَصَبَةُ القَصِيَّةُ عَنِ المَعْنَى،

كُلّمَا جلَسْتَ بُرْهَةً، نَالَتِ الرّاحَةُ المُؤَقّتَةُ بَينَ مُبالغَاتِك المتَهوّرَةُ في الحَرَكَةِ والزّهْوِ والعُنفُوانِ، كُلّمَا جَلَسْتَ على مِقْعَدٍ، أو بَسَطْتَ بَدَنَكَ على سَريرٍ، تَيسّرَ لِساقِكِ المتْعَبَةِ رَاحَةً مِنْ عِبئِكَ الفظِّ، وثُقْلِكَ الفجِّ، وجَلافَتِكَ قَليْلَةَ الفِطْنَةِ، لَحْظَةً تَنَالُ رَاحَةً واحِدَةً في خِضَمِّ نَهَارٍ مَشْحُونٍ باجْتِيازِ المكَانِ، ولَيْلٍ لا يَهْدَأ مِن اخْتِزالِ الزّمَنِ، كَأنَّكَ تَنْتَقِلُ في رِيحٍ غَيرِ مَرْئِيةٍ، حَيثُ السّاقُ الرّشِيقَةُ المُذْهِلَةُ مُتَوارِيَةٌ في الثّوْبِ، مَلْفُوفَةٌ في أسْطُوانَةِ البِنْطالِ، سَاقُكَ المأخُوذَةُ بِكَ، لكَأنَّكَ لا تَعْرِفُها، لا تَتَذَكّرُها إلا في لَحْظَةِ الفَقْدِ، اللّحْظَةُ التي تَصْعُبُ فيها المُعَالجَةُ أو تَسْتَحِيلُ.

سَاقُكَ، سِباقُكَ الخَفِيُّ في السّفَرِ والإقَامَةْ.
لا تَدَعَها تَنكَسِر وَحْدَها
لا تَخْذُلها، فَيَنَالُكَ الخِذْلانُ الأعْظَم،

كأنَّها القَصَبَةَ التِي مَنَحَتْها لَكَ الآلِهَةُ، لأجْلِ السّعي بِها نَحْوَ المُوسِيقَى الذّهَبِيّةِ للحياةِ.

مُوسِيقَى العَمَلْ،

فَبِدُونِ هذه القَصَبَةِ الرّشِيقَةِ التي يَتّكِئُ عليها جَسَدُكَ، ويَتَأرْجَحُ، ويَرْتَجِلُ، ويَنْفُرُ، ويَرْقُصُ، بِدُونِها، بِدُونِها، بِدُونِها، لا أنْتَ أنْتَ، كأنَّكَ كائِنٌ أقَلُّ قَليلاً مِنَ الصّدَى،

وأكثرُ قَليلاً مِنْ مَحَارَةٍ مَكْسُورَةٍ على سَطْحِ خَشَبٍ قَدِيمْ.

لا تَدَعْها تَنكَسِر

سَاقُكَ العَمُودُ الصَّغِيرُ، القَصِيرُ، المَنسيُّ، المُهْمَلُ، الضَّئِيلُ في جِسْمِكَ الهَائِلِ، هو، هو، هو، عَمُودُ خَيمَتِكَ الأوَّلُ، الوَحِيدُ، النَّادِرُ، الذي لا يُعَوَّضُ، وما إن يَنكَسِر حتّى تَنهارَ خَيمَتُكَ العَظِيمَةُ، وتَتهاوى أبْراجُ سُرَادِقَاتِكَ الشَامِخَةُ، وتَسْتَوِي بِالأرْضِ، ورُبمّا بِأقَلَّ مِنَ الأرْضِ أيضاً.

فَقَط،

لأنَّ قَصَبَتَكَ الصَّغِيرةَ، بِزلَّةٍ أصْغَرِ مِنها، سَوفَ تَتَعَثَّرُ وتَصْطَدِمُ وتَنكَسِرُ، وَحْدها، تِلكَ القَصَبَةُ، تَترُكُكَ وَحدَكَ، كُلّمَا بَالَغتَ في تَقمُّصِ الإعْصَارِ بَينَ البَابِ والعَتَبَةْ.

فَلا تَدَعْهَا تَنكَسِرْ،

لا تَدَعْ جَسَدَكَ يَكبُو على وَجْهِهِ، في اللّحظَةِ التي يَتَوَجَّبُ عليهِ أنْ يَشِبَّ ويَشْمَخَ، ويَستَقيمَ.

فَبَعدَ هذه القَصَبَةِ، وبِدُونِها، أنتَ في مَهْوَى القُصُورِ الكامِلِ عنْ إزاحَةِ السَّتَارَةِ في نَافِذَةِ خَلْفَكَ. بِدُونِ سَاقِكَ الصَّغِيرَةِ النَّادِرَةِ، سَوفَ تَتَضَرَّعُ لِكُلِّ الآلِهَةِ، كي تُعِينَكَ المَخْلُوقَاتُ السَّائِرَةُ على الوُصُولِ إلى الطَّرَفِ الثَّاني مِنَ السَّرِيرْ.

وَمَا عَلَيكَ إلا أنْ تُجَرِّبَ ذلك، لِكَي تَعرفَ مَعنى أنْ تكونَ بِلا سَاقٍ سَلِيمَةٍ غَيرِ مَكْسُورَةٍ، لنْ تَقوى على الانتِقالِ مِنْ سَاحَةِ الهَيْلَمَانِ إلى غُرْفَةِ السَّكِينَةِ،

ومِنْ غَيرِ تلكَ السّاقِ، التي سَتَتَذكَّرُها بِحَسْرَةِ المَجْنُونِ، سَتَعْجَزُ عنْ جَنَّةِ الماءِ، وحُرِّيَّةِ الهَواءِ، في الغَسْلِ والرَّمْلِ بَينَ الجغرافيا وتَفاصِيلِ البَيْتْ.

فَلا تَدَعْها تَنكَسِر،
قَصَبَتُكَ الذّهَبِيّة،
مِنحَةُ الآلِهَةِ، ونِعْمَةُ الغَابَاتِ الأسْطُورِيَّةِ،

انتَخَبَها لكَ اللهُ، لِكَيَ تُغَنّي بِها الحَيَاةَ، بِأجْمِلِ أغانِيكَ، وتَغزِلَ بِها أشْرِعَةَ أحلامِكَ البَهِيَّةِ، وتَسْعَى بِها مِثْلَ جَناحِ الرّحْمَةِ نَحْوَ حَنَانِ الرّاحَةِ وحَرِيرِ الحُبّ.

قَصَبَتُكَ الأصْغَرُ منْ قَوْسِ الصّدْرِ والأحَنُّ عَليكَ منْ وَتَرِ القَلبِ، فَلا تُفَرِّطْ فِيها، ولا تَغْفَلْ عَنها، ولا تَجْعَلْها في مَهَبِّ التَّهَوُّرْ.

لا تَدَعْها تَنكَسِرُ، فَيَنكَسِرُ قَلبَكَ على نَفْسِكَ.

بِسَاقِكَ فَقَطْ،
بِرَشَاقَتِها البَاهِرَةِ،
بِها وَخذَها تَذْهَبُ إلى النّاسِ،
وتَذْهَبُ عَنهُمْ،
مَشْغُوفَاً بِهِمْ
مُتَحَرِّراً مِنهُمْ،

مُعْلِناً الحُبّ على مَنْ تَذْهَبُ مَعَهُ، وتَذْهَبُ عَنْهُ.

كلُّ ذَلِكَ لَكَ،
ما بَقِيَتْ سَاقُكَ لَكَ،
صَحِيْحَةً، طَيِّبَةً،
تَطِيرُ بِكَ، فِيمَا تَرْأَفُ بِها، وتَتَّزِنُ، وتَكْتَرِثُ
سَاعَتَها فَقَطْ،
يَصحُّ لَكَ أنْ تَزْعُمَ أنَّكَ رِيْشَةٌ في جَنَاحِ الآفَاقِ
جَالِساً في تَاجِ الأَوْجِ
في جَنَّةِ المُشْتَاقِ،
والسَّاقُ على السَّاقْ.

مثلما يَفْعَلُ اللهُ مِنْ دُونِ قَصْدٍ

إلى ميسم الناصر ومحمّد حداد

كانَ ذَلِكَ في مُسْتَحِيلٍ مِنَ الضّوءِ
في لَيْلَةِ الكَهْرَبَاءِ
عِنْدَمَا نَامَتِ الصّاعِقَةْ
في قَلِيلٍ مِنَ البَرْقِ
بَيْنَ العُبُورِ الرّشِيْقِ
وبَينَ النّبِيذِ الذِي يَسْبقُ الفِيزياءَ

لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ الوقْتَ
ولَيسَ لَدَيْنَا دَلِيلٌ، يَضِيعُ بِنَا في المَجَرَّاتِ
كُنّا نَضِيعُ عَلى مَهْلِنَا
في ارْتِبَاكٍ، وفِي نَشْوَةٍ

جَنّةُ النّومِ فِينَا
وفِينَا نَشِيدٌ، يُؤَجّلنَا
وكانَ الأدِلاءُ،
في غيرِ قَصْدٍ مِنَ اللهِ،

يَهْذونَ، قَبْلَ انْتِهاءِ وَشيْكٍ،
بِمَا كانَ يُدْعَى اكْتِشَاف الجَحِيمِ

كانَ ذَلِكَ في مُسْتَحِيلٍ، يُنَاسِبُنَا
ويَلِيقُ بِمَنْ لا يَرى في النّبِيذِ سِوى لَيلَةٍ عَابِرَةْ
مِثْلَ جِنِّيَّةٍ، تَفْضَحُ الحُبَّ في مَا تَبَقَّى مِنَ النَّصِّ
كُنّا كَمَنْ يَجْمَعُ السِّرَّ والسّاحِرَةْ

آهِ، مِنَ اللّيلِ
يَنسَى بِنَا مَا يُصِرُّ النّبِيذُ عَلى أنَّهُ لَحْظَةُ الانْدِلاعِ

آهِ، مِنَ اللّيلِ
ممّا اعْتَراني مِنَ الوَلَعِ المُرْتَعِشْ
كُنْتُ في مُسْتَحِيلٍ أخيرٍ
يَقُولُ لي الحُبُّ:
خُذْني، وعِشْ.

كانَ ذَلِكَ لَيلَ انْتَبَهْتُ بِأنَّ الفَرَادِيسَ
لَيْسَتْ سِوى خَبْط عَشْواء
تَفْتَحُ أحْضَانَها دُونَ قَصْدٍ
وتَلْثُمُ بِالوَرْدِ في وَجْنَتَيَّ
لِكَيْ تَتْرُكَ الجَمْرَ مُسْتَيْقِظاً

دُونَ قَصْدٍ
وتَنْتَحِبَ النّارَ في عتْمَةِ القَلبِ
مِنْ دُونَ قَصْدٍ
وتَمْنَحني النّزْهَةَ المُشْتَهاةَ
لأغْمِسَ فيّ عَسَلِ اللهِ
أقْلامِيَ النّبَوِيَّةِ مِنَ دُونَ قَصْدٍ

وفِي مَا تَبَقّى مِنَ الوَقْتِ
تَذْهَبُ مِثْلَ الأسَاطِيرِ
مِنْ دُونِ قَصْدِ

فَكَيْفَ سَأُقْنِعُ قَلبي بِأنَّ الذِي كانَ يَعْبُرُ
ليسَ مَلاكاً يُهَيِّئُني لِلتّأْوِيلِ
لَكِنّهُ .. مُسْتَحِيلُ الأثَرْ

وكَيفَ أُصَدِّقُ أخْبَارَنَا
وهِي في هامِشِ النَّصِّ
في مَا تَبَقَّى مِنَ اللّيْلَةِ الفَاتِرَةْ
واخْتِلاجِ القَمَرْ

وَخَدَهَا السّاحِرَةْ
لَها حُظْوَةٌ في كِتابِ المَلاكِ

قَيّدَتْنِي هُنَاكَ
واسْتَعادَتْ طَبِيْعَتَهَا،
دُونَ قَصْدٍ مِنَ اللهِ
يَا لَلْقَدَرْ!

كأسانِ للرّأس

مَرَضِي أنّني مُنذُ كَأسَينْ
بَالَغتُ في الحُبّ، كيَ أفْهَمَ العشْقَ ...
... لا أفْهَمُ

مَرَضِي أنَّ لِلْجُرْحِ تَارِيخَهُ في كِتابِي
ولِلْعاشِقِينَ مَعِي قِصّةُ الحَالِمِينَ المُحَالِينَ لِليَأسِ، واليَائِسينَ الذِينَ
إذا هَاجَ شَوْقٌ بِهِمْ قَاوَمُوا

طَاشَ بِي ذَهَبٌ في الزّنادِ
ومَرَّتْ بِي النّارُ
وأنْتَخَبَ العَاشِقُونَ المَرايَا
وعَزَّ عَلى جُرْحِيَ المَاءُ
والخَمْرُ
والعَلْقَمُ،

جَالِسٌ في شِغافِ الحَنِينِ
أُؤَجِّلُ مَوتِي قَليلاً
لأبْكِي طَويلاً

وأحْتَالُ بِالشّعْرِ والنّثْرِ،
عَالَجْتُ قَلْبِي بِما يَحْلُمُ

مَرَضِي أنَّهُمْ
كلّمَا دَافعَ الجُرْحُ عَنْ نَزْفِهِ ..
.. هَاجَمُوا
كُلّمَا قُلتُ لِلأزْرَقِ الذَّهَبِيِّ،
انْتَظِرْ ..
ربّمَا تَرْأَفُ الفِيزياءُ
ويَنْتَابُنِي اللهُ والقَنْدُ والبَلْسَمُ

قَالَ لي :
في الزّجَاجَةِ كَأسَانِ
كَأسٌ سَتُغْرِيكَ بِالمُسْتَحِيلِ
وكأسٌ سَتُنْسِيكَ قَلبَكَ،
مَنْ يَسْتَزِيدُ،
ولا يَنْدَمُ ؟!

الأقداحُ المعبوبة حتّى الثمالات

إلى طفول حداد

١

مَنَحْتُكِ ما خَصَّني بِهِ اللهُ مِنْ حَرِيقٍ، ومِنْ بَهْجَةٍ
مَنَحْتُكِ الحُلمَ وقَرِينَهُ
فَمِنْ أينَ أتَيْتِ، تَجِدِينَ أبْناءَكِ في التّرْكِ
تَجِدِينَهُم بِأطْرَافٍ حَاسِرَةٍ
وأحْدَاقٍ ذَاهِلَةٍ
مَفْؤودِينَ
ولَهُمْ في كُلِّ جنَازَةٍ نَحِيبٌ
وفي كلِّ مَرْثِيةٍ شهْقَةُ الثّواكِلِ

مَنَحْتُكِ كُلَّ هَذا اليَأسُ
لأنَّ اللهَ خَصَّنِي بِهِ
وخَصَّ بِهِ الشّخْصَ المَفْقُودَ في مَكانِه.

٢

سَيِّدَةَ الجَنَّةِ الوَشِيكَة

تُشعلينَ الجَحيمَ في أعْضَائي
فَلا يَنطَفئُ الحُبّ
ولا يَهْدأُ غُبَارُ الطَّلْعِ في أسْمَائي
لِكَلمَتكِ الوَحِيدَةِ مَكانَةُ الحُلمِ في النّومْ

مَكانُكِ في المَقامِ الأعْلى
مَكانُكِ في الشّاهِقِ مِنَ الرّوحِ
مَكانُكِ في التّاجِ والتّجْربَةِ

وللشُّعُوبِ في يَقْظَةِ القَلبِ شَغَفٌ بِكِ
مَنْ يُضَاهيكِ وأنْتِ هنا؟!
مَنْ يُضاهيكِ وأنتِ هناكْ
في الأوجِ،
في الأوْجِ والأقَاصِي؟!

٣

بَالَغْتُ لَكِ في الحُبِّ
وضَعْتُ لَكِ البَهَارَ والبَخُورِ والبلّوْر
رَأيْتُ نيرَانَكِ
في البَاقِي مِنَ العَيْنَيْنِ والدّمَع.
صَلَّيْتُ لِئَلا تَنالَكِ الآلِهَةُ
تَضَرَّعْتُ الطّيْرَ والرّيحَ
وأيَقَظْتُ الوَلَعَ في الطّبيعَةِ

لِكَي يأخُذَ منكِ الغَضَبُ
يأخُذَ منكِ الظَّنُّ
وتأخُذ الذَرائعْ.

٤

طَارَ بِي قَلبٌ إليكِ
مَجْنُونَ التّأويل،
مَغْدُوراً، مُبَاغَتاً
ولَيْسَتْ لهُ آيَةٌ في الكِتَابِ
ولا يَذْكُرُهُ الأنْبياءُ بِالحِكْمَةِ

طَارَ بِي،
ولهُ رِيْشٌ أخَفُّ من الرّيحِ
وأكثرُ كَثَافَةً مِنَ المَعْرِفَةْ.

٥

طَارَتْ بِي نَارُكِ المَجْنُونَةُ
طَارت جَنَّةٌ
وبَشَّرَتْ بكِ الأرضَ
لتَشُبَّ شُعُوبٌ
تُوشِكُ أنْ تَسْتَيقظ
ويُوشِكُ أنْ يَنْهَضَ بها الكَوْنُ،
فتكْبُو.

٦

أطفَالُ شَعْبِكِ يُزَخْرِفُونَ مُدُنَ النّاسِ بِأسْمَالِهِم
وبأسْمَائِهِم يَقِيسُونَ الدَّمْعَ
بِأجْرامٍ بَارِدَةٍ،
ويَطالُونَ المُعْجِزَ بِالأحْدَاقِ المَذْعُورَةْ.

٧

لِجَسَدِكِ في الجَسَدِ حَرَكَةُ الماءِ وبَهْجَةُ الفِضَّةِ
لِجَسَدِي في الجَسَدِ اخْتِلاجُ التّهَدُّجِ وشَغَفُ العِفَّةِ

يَتَبَادَلانِ شَكْلَ الخَمْرِ والقَدَحِ
يَنْتَخِبَانِ الحَزْبَ والتّرَنّحَ.

٨

الحُبُّ، جَسَدِي مَطْحُوناً بِحَوضِكِ الصّقِيلِ
الحُبُّ، جَسَدُكِ مَعْجُوناً بِعَاصِفَةِ الطّلْعِ
في بَرْقِ الرّوحِ والأقَاصِي
حَيْثُ الصّعُودُ،
الصّعُودُ والتّلاشِي.

الحُبُّ مَسَافَةُ النّارِ
بَينَ الدّقِيقِ والخُبْزِ
حَيثُ الخَلْقُ هو الجَسَدُ، وبَعْدَه.

٩

سَألتُ عَنكِ الأوْجَ
سَألتُ مُلُوكاً يَحْرِسُونَ لَكِ الحُدُودَ
يُؤدُّونَ الطّاعَةَ لِريشَةِ تَاجِكِ في الغَيمِ
وَضَعْتُ لَكِ النَّجْمَةَ في التّجَاعِيدِ
وَسَمَّيتُ المأدبَةَ لكِ وقَطِيفَةَ العُرْسِ
سَمَّيْتُ السّفينَةَ والمَوجَ
وأخْبَرْتُ الرّيحَ بِأسْمَائِكِ.

١٠

تَعَالي
أدْعَكُ لَكِ حَبَّةَ العشْقِ الزّرْقاء
المتَأرْجِحَةِ في شُرْفَةٍ
بَينَ السّمَاءِ والقَلْبْ.

تَعَالي
أدْعَكُ لَكِ القَنْدَ المكْنُونْ.

١١

شكراً لِعَيْنَيْنِ تَفْتَتِحانِ السّمَاءَ
رَاقَتْ لِتَأويلِها زُرْقَةٌ مُشتَهاةٌ
شكراً لأنّ السّمَاءَ سَتَحْنُو على آخرِ الأنْبَياءِ

نَبِيٌّ وعَيْنَاهُ مَأْخُوذَتَانِ بِعَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ
وقَلْبَيْنِ يَبْتَكِرانِ الغِنَاءَ.

١٢

هاتِ الوَرْدَةَ، هاتِيها
يَنْتَخِبُها آلِهَةٌ يَلْهون
يَصُوغُونَكِ في صُورَةِ الله
ويَبْعَثُونَكِ في هَيْئَةِ النَّبِيِّ.

١٣

صُدْفَةٌ أنْ تَسْتَعِيري
نَجْمَةَ النِّسْرِينِ مِنْ قَلبي
لِتَنْسَاني يَداكِ على سَريرِ المَاءِ.

صُدْفَةٌ بَالَغْتُ في النِّسْيانِ
كَيْ أعْطِيكِ تَذْكَاراً
مِنَ المُسْتَقْبَلِ المَأْخُوذِ
كَيْ أبكِي
قُبَيْلَ تَبَادُلِ الأسْمَاءِ.

١٤

بَيْنِي وبَينَكِ جَنَّةُ الفِرْدَوسِ

فانهالي قليلاً قبْلَ أنْ نبكي
نُؤَثِّثُ لَيْلَنا الثّاني بمَا يَبْقَى مِنَ النّسْيانِ
نَفتَحُ لِلجَحيمِ فَرَاشَةً مَشْبُوقَةً
ونُؤَجِّجُ الرّؤيا، لِكيَ نَهْتَاجَ
في البَاقِي مِنَ الخَمْرِ القَدِيمِ
مِنَ المَرايا، وهي تَبْتَكِرُ الكَلامَ
تنامُ في أقْداحِنَا
وتَهزّنا في هَوْدَجِ الفُرْسَانِ.

يا بَيْنِي وبَيْنِكِ وَرْدَةُ الدّنْيا
وقَلبُ العَاشِقِينِ
وشهوةُ النَّصِّ الجميلِ
لكي نَقُولَ عَذَابَنَا الفَتّانِ
فَارْتَاحِي قَلِيْلاً
قَبْلَ أنْ نَبْكِي عَلى أخْطَائِنَا
هاتِي تَأْوِيلَ الزّرَاعَةِ والصّنَاعَةِ
واسْعِفِينِي،
جَنَّةُ الفِرْدَوسِ آتِيَةٌ مَعكْ

هاتِي، خُذِينِي
قَبْلَ أنْ يَنْتَابَنِي نَدَمُ المُغَامِرِ بَعْدَ أنْ يَنجُوَ مِنَ الحُبِّ الوَشِيكِ
ويَنْتَهِي في النّومْ
هاتِي،

كلّمَا أرْخَيتُ أسْمَائِي على مُدُنٍ هَوَتْ
وتَوَهَمَتْ مُسْتَقْبَلَ المَفْقُودِ

لَو بَيْنِي وبيْنِكِ جَنَّةٌ أخرَى
تَقَمَّصْتُ انتظاراً، واختَمَيْتُ بِما تَبقّى
وانتَهَتْ بي جَنَّةُ الفِرْدَوسِ
في مُسْتَقْبَلٍ، يمْضِي بِلا عُنْوانْ

هاتي،
ربمّا بَيْنِي وبَيْنكِ مُسْتَحِيلٌ
والفَرَاشَةُ وَحْدَها في مُلْتَقى النّهْرَيْنِ
والقَنْدُ الزّجَاجِيُّ المُذَابُ
وشَهْوَةُ الأقْدَاحِ تَنتَخِبُ العَذابَ

هاتي،
هنا أقْدَاحُنا مَعْبوبَةٌ حتّى الثّمَالَةْ.

جداريّة للشّخص الوَسِيم

إلى صالح العزّاز

يَصحُّ لي أنْ أستَعِيرَ ثَلاثَ جَنَّاتٍ مِنَ النَّصِّ القَدِيمِ
لِكَيَ أُؤَثِّثَ هذه المِشْكاةَ في شَخْصٍ وَسِيمِ السَّمْتِ
أَغْلَقَ آلَةَ التّصْويرِ
كَيَ يَبْقَى قَليلاً في دَفَاتِرِنا
ويُصْغِي لِلتَّهدُّجِ والشّغَافِ قُبَيلَ أنْ نَبْكي
وقَبلَ تَفَاقُمِ النّسْيَانِ في أَخْبَارِنَا

بِثَلاثِ جَنَّاتٍ (ولا تَكْفِي)
نُبَالِغُ في تَواضُعَنَا أمَامَ المَوتِ
كي يَرْأَفَ
بِما يَبْقَى مِنَ الشَّخْصِ المَرِيضِ وآلةِ التّصْويرِ.

ثَلاثُ جَنَّاتٍ فَسِيحَاتٍ
يَسَعْنَ المُسْتَحِيلَ الأزْرَقَ المَذْهُولَ في أعْماقِنَا
ويَطِفْنَ بِالأطفالِ في خَفَرٍ
لِئَلا يَحْلُمَ الأحْياءُ بِالموتِ الطّويلِ

ثَلاثُ جنَّاتٍ،
لِئلا يَطمَئِنَّ النَّصُّ لِلتَّفْسِيرْ.

لا تَذْهَبْ سَريعاً،
أو تَقَمَّصْ آلةَ التّصْويرِ، وانْظُرْ، وانتَظِرْ
يَنْهَالُ كُونْشِرتُو ظَلامِ النّاسِ في العَدَسَاتِ
فَالتّأويلُ يَقْتَرِحُ الحَدَائِقَ
وهِيَ تَنْهَضُ في صَباحِ النّاسِ،
حَدِّقْ، وانْتَظِرْ، وانْظُرْ
فَثَمّةَ صُورةٌ في جَنَّةٍ أخْرَى.

يَصحُّ لي
أنْ أسْتَعيرَ ضَرَاوَةَ الأحْياءِ فِيمَا يَفْقِدُونَ أحِبّةً كالوَرْدِ
كي يَنْتَابَهُم خَوفٌ مِنَ النّومِ الكثِيفِ
ورَحْمَةً بالطّينِ، وهو يُؤَجِّلَ النّسْيانْ.

لا تَذْهَبْ وتَترُكْ آلةَ التّصْويرِ نَائِمَةً عَلى تَهْوِيدَةِ الكَابُوسِ
لا تَذْهَبْ، وتَتْرُكنَا
وتَتْرُكْ لَحْظَةَ التّنْويرْ.

فِينَا مَنْ يُصَدِّقُ أنّكَ قَادِمٌ مِنْ غُرْفَةِ التّحْمِيضِ
فِينَا مَنْ يُؤَثِّثُ شُرْفَةَ الجغْرافيا بِشَرائحِ التّأويلِ
فِينَا شَهْقَةُ الأطفَالِ تشرعُ حَسْرَةً للبحرِ، كيَ يَهْفُوَ إليكَ

ويَسْهرُ الأحْفَادُ في خَيْطِ الرّسَائِلِ
وهي تَسْألُ زُرْقَةً، تَحْنُو عَليكَ
فِيْنَا نِساءٌ، تَصْقُلُ العَدَسَاتِ بِالشّهَواتِ
كيَ يَسْعَى إليكَ الماءُ والمَلَكُوتُ

فَيَصحُّ (مَا دُمْنَا تَجَرَّعْنَا مَعاً مَوْتاً طَويلَ العُمْرِ)
أنْ نَبْكِيَ عَلانِيةً عَلى تَارِيخِنَا الشّخْصِيِّ، وهو يُؤَجِّلُ التّصْويرَ
ويَصحُّ (مَا دُمْنَا تَبَادَلْنَا التَّهَدُّجَ وانْتَحابَ القَلبِ)
أنْ نَرْتَابَ في مَوْتٍ، يُمَيِّزُنَا، ويَشْخَصُ في مَآقِينَا
ويَنْشُبُ وَحْشَهُ فِينَا.

يَصحُّ لنَا،
ونَحْنُ في نَهارِ الفَقْدِ
أنْ نُخْفِيَ تَواضُعَنَا أمَامَ المَوتِ
فَالشّخْصُ الوَسِيمُ لنَا
وتَأوِيلُ الكَلامِ لنَا
لِمَاذا لا يَصحُّ لنَا
صَدِيقٌ، سَوفَ يَمْنَحُ فُرْصَةً أخرى قُبَيلَ رَحِيلِهِ الجَارِحِ
لِكي نَعْتَبَ عَلى تَبْكِيرِهِ في النّومِ؟
نَشْهَقُ فِيه: لا تَذْهَبْ
ودَعْنَا، أيُّها الشّخْصُ الوَسِيمُ
نَكُفُّ عَنْ تَفْسِيرِهِمْ لِلمَوتِ
نَمْنَحُ فِتْنَةَ التّأويلِ حُرِّيَّاتِها الأولى.

ولا تَذْهَبْ

تَشَبَّثْ بِاحْتِمالِ السَّهْوِ والنّسْيانِ
بِالمَعْنَى نُؤَلِّفُه بَعِيداً عَنْ دِلالتِهِ
تَشَبَّثْ، وانْتَظِرْ، واسمعْ وصَايَانَا
قُبَيْلَ النَّصِّ والتّأويلِ

لا تَذْهَبْ

يَصحُّ لنَا،
ونَحْنُ نُلَفِّقُ الأحْلامَ بَعْدَ كِتابِكَ الأزْرَقْ،
أنْ نَغْفُوَ أمَامَ وَداعِكَ الفَاجِعْ
وفِيمَا الكَوْكَبُ البَشَرِيُّ يَسْتَلْقِي، ولا يَقْلَقْ
بِأنَّكَ، في قَرَارَةِ حُلمَنا، رَاجِعْ.

يَصحُّ لنَا،

- إذا طَابَ الغِيابُ -
تَبَادُلَ الأخطاءِ كاملةً
يَصحُّ لنَا الكتَابةُ في قَمِيصِ القَلبِ
عَنْ غَدْرٍ، يَنالُ الشَّخْصَ حتّى آلة التّصْويرِ
عَنْ وِحْشٍ مَشَى في جَنَّةِ الصّحْراءِ
عَنْ مَاءٍ مَرِيضٍ، أُخْوَةٍ يَكُونَ مُلكاً ضَائِعاً
عَنْ مَيِّتٍ في العَرْشِ
عَنْ رُبْعِ الخَرابِ
عَنِ العَذابِ

ونصْفِ شَكٍّ في الكِتابِ
عَنِ المَحَبَّةِ كُلّها
وعَن الصّداقاتِ التَي احْتَقَنَتْ
وَصَلَّتْ أنْ يَكُونَ اللهُ .. أرْأف.

يُوزِّعُ يَقْظَتَهُ عَلى نَائِمِينْ

إلى أحمد الرّبعي

هَكذا أَتَخَيَّلُ نَفْسِي دائِماً،
كائِناً غَيرَ مَرْئِيّ
يَذْرَعُ المَسافَةَ بَينَ النَّصِّ والحَدِيقَةِ،
يُوَزِّعُ أَحْلامَ يَقْظَتِهِ على نَائِمِينْ.

*

ثَمَّةَ مَقْصُورَةٌ عَامِرَةٌ بِالأَحْلامِ.
أَقِفُ عِنْدَ بَابِها، أُحْصِي الخَارِجِينَ يَتَرَنَّحُونَ بِالذَّخَائِرِ،
أَنْصَحُ الدَّاخِلينَ بِخَرِيطَةِ المَقْصُورَةِ، لِئَلا يَعْرِفُوا الطَّرِيقْ.

*

بَذَرْتُ أَحْلامِي هُنا
هذه جَنَائِنُ رُوحِي،
لَيسَ لأَحَدٍ أَنْ يُنازِعَنِي بَيْتِي.
فَفِي الجَنَّةِ،
لَسْتُ القاطِنَ، ولَيسَ مِنَ العَابِرِينْ،

أنا كائنٌ يتكَوّنُ، ويكُونُ.

*

جَنَّةُ المأوَى، بَهْوُ البَيْتِ
لا يَقْدرُ أحَدٌ على مُصَادرَتِه
مثلَ حُلمٍ،
يَتوَجّبُ عَلَيكَ أنْ تمْحُوَ اللّيلَ، وتَنفِيَ النّومَ
لِكَيَ تَجْعَلَ الحُلمَ مُسْتَحِيلاً
بيْتِي،
حَنِينٌ ومَأوَى.

*

جَنَّةُ البَيْتِ،
مَنْزِلُ الجَنِين،
وحَدِيقَةُ الجُنُونْ.

يَجْلِسُ الشّخْصُ في مَكانِه.
لا تَنَالُ مِنْهُ جغْرافِيّةُ الوَهْمِ،
ولا يَسْطُو عَليهِ غُبَارُ السّلالاتْ.

يَقْوَى عليه شَخْصٌ في جَنَّةِ المُنْتَهى.
يَبْدأُ، ولا يَنْتَهِي.

*

مَا إن تَبْدأ سَرْدَ السّلالاتِ
حتَى يَنْثَالَ الأسْلافُ في صُورةِ أشْباحْ
تَتَبادَلُ نَصْبَ الفخاخِ والشِّراكِ،
وتُمْعِنُ في تَمْويهِ القَرائِنِ
وافْتِعالِ الأمْثالِ وتَقَمُّصِ الحِكمَةِ،
أشْباحٌ تَمْحُو خَرِيطَةً، وترْسُمُ غيرَها
خَرائِطُ تَفْضَحُ سلالَةَ الغُبارْ.

*

يَطرقُونَ البَابَ والنّوافِذَ
لا تَفْتَح لَهُم،
إنْ كانَوا ضُيُوفاً مَبْعُوثِينَ
أو أدِلاءَ، طَاشَ الوَجْدُ بِهِمْ
وفَاضَتْ بِهِم أحْلامُ النّاسِ
سَوفَ يَعْرِفُونَ كيفَ يَدْلِفُونَ البَيْتَ
بِرِفْقِ الأطْيَافِ، ورَهَافَةِ الحُلمْ.
لا تَفْتَحْ لَهُم،
لا يَدْخُلُونَ مِنْ بَابٍ، ولا نَافِذَةْ.

*

حُواةٌ على الجَانِبَيْنِ
يَتَنَاوَبُونَ على إخْراجِ غَرائِبِهِم مِنَ السّلّةِ،

السّلّة ذاتِها كَمَنْ يَستَلّ أسْرابَ الغُيُومِ الكَثيفَةِ
مِنْ نَومٍ واحدٍ،
يَتراشَقُونَ بِالصّمْغِ والضّفادعِ
وفَضَائحِ السّيركْ.

يَسْأَمُ النّاسُ،
يَفْشَلُ العَرضُ،
ويُخْفقُ رَقِيبٌ في حَجْبِ الشّمْسِ
ومَنْعِ الكلامِ،
الحَقِيقَةُ عَارِيةٌ
أكثرُ فَصَاحَةً مِنَ النَّصِّ والنُّحَاةْ.

*

الآنْ،
بعدَ التِي واللّتَيّا،
بَعدَ الغَالي والنّفِيسِ،
بَعدَ النّارِ والرّمادِ،
بَعْدَ الدّنيا والدِّينِ،
نَكْتَشِفُ أنَّنَا
طوالَ اللّيلِ والنّهارِ
طوالَ المَوتِ والحَياةِ
كُنا نَزرَعُ الحَقْلَ بِالأوتَادِ
ونَسْقِيها بِالمَاءِ اليَابِسِ

فَمَاذا تُرِيدُ أنْ تَحْصدَ مِنْ زِراعَةِ الأوتادِ
غَيرَ الخِيامْ.

*

لا اعْتِراضَ لَدَينَا، في هذه الكُومِيديا الدّامِيةِ،
سوِى على اعْتِقادِهم، الذي يُضَاهِي اليَقِينَ،
بِحَتْمِيّةِ إعْجابِنَا بِهذا العَرْضْ.

جَرَسٌ يَنْهَرُ الشُّعُوبْ

إلى عبد الواحد أحمد عبد الرحمن

١

يَدُهُ فَوقَ كَتِفِي،
ولَهُ صَوتُ جَرَسٍ، يَنهَرُ الشُّعُوبَ
لِصَلاةٍ حُرَّةٍ مِنَ الآلِهَةْ.

٢

قَلْبُهُ لي
ولَهُ كِتابٌ، يَقَرأُ النّاسَ،
لُغَةٌ، لَيسَ لاسمِها مُعْجَمٌ
تُسْعِفُ الدّلالةَ بِالتّأويلِ
تَغْفَلُ عَنِ النَّصِّ، وتَنْقُضُ طَبِيعَةَ البَشَرِ
في حيواناتٍ، تَتَفَلَّتُ مِنْ سَطْوَةِ الوَحْشْ.

٣

ألَمْ تَشْحَذْ أعْضاءَكَ شَهْوَةُ التّجارِبِ؟

أَلَمْ تَحْلُمْ في لَيْلِكَ الغَضِّ أنْ تَصِلَ بِهذا الجَسَدِ
إلى تَاجِ الشَّهْوَةِ
تَخْتَبِرهُ بِزَفِيرِ قَصَبَةٍ، تُوشِكُ على الوَهْدَةِ؟
تُسَمِّي وَرْدَةَ الحُلمِ كابُوسَ المُسْتَقْبلِ
مُكْتَظاً بِالشُّعُوبِ
خَارِجاً عَن الجَرْحِ والتّعْدِيلْ.

٤

شُعُوبٌ تَضْطَرِبُ مِثلَ أفْراسٍ تَخْزُنُ في مَداخِلِ الجَسَدِ
شُعُوبٌ مُتّكِئَةٌ على أكْبَادِ شُهَدائِها،
تَدْفَعُ بِهِمْ إلى جِسْرٍ، يَتَأَرْجَحُ بَينَ الدّمِ والنّدامَةِ

شُعُوبٌ، تَعْرِفُها هَزِيمَةٌ هَزِيمَةً
مُمْعِنَةً في التَّحَولِ
مَذْهُولَةً
تَتَحاجَزُ بِمُهَجِ النَّاسِ.

أسْمَاءٌ تَأْخُذُ أشْكالَها مِنَ القَنَافِذِ والضَّفَادعِ
تَتَقَمَّصُ مَكْرَ الثّعالِبِ، وتَقْتَدِي بالكَبَارِيتْ.

وها أنتَ،
أمَامَكِ أشْدَاقُ مَا بَعْد التّجْرِبةِ:
حَيثُ الضّحايَا تَتَفَاقَمُ، وتَهْذِي
في حَضْرَةِ قَاتِلٍ، يَسْتَعِيدُ طَيشَه، ويُجَنّ.

٥

المُفْرِطُونَ في الجِيادِ يُضاهُونَ بِالسّكاكِينِ،
ويَزْعمُونَ بِأَنَّ ثمّةَ نَصْراً في هذه الهَزائِمِ.

٦

سَيْفٌ من الأشْداقِ لَكَ،
كأنّه جنَازَةُ الحُلم،
يمْتَدّ مِنْ جَسَدٍ مَشْبَوقٍ، إلى جَسَدٍ مَشْنُوق.

٧

شُعُوبٌ تُسْلِمُ قِيادَها لِطُغاةٍ مَحْرُوسِينَ بِطُغاتِهِمْ
غُزَاةٌ يُجْهِزُونَ على شُعُوبٍ مُحَاصَرَةٍ بِرُومٍ في الجَانِبَيْنْ.

٨

شُعُوبٌ تتجرَّعُ الوَهْمَ حتَى الثّمالةِ،
ظنّاً أنّه الأمَلْ،
وفي كُلّ مُنْعَطَفٍ، يَطِيبُ لِطُهاةِ المأسَاةِ ومُهَنْدِسِي الكَوارِثِ
أنْ يُحَقِّقُوا للحَياةِ المكْسُورَةِ أُمْنِيّةً أخِيرةً:
سَرِيرُ المَسامِيرِ لِمَوتٍ، بِلا ألمْ.

لَكُمْ دِيْنُكُمْ،
ولِلخَارِجَينَ الأجِلاءِ دَيْنٌ عَليكُمْ

كُلّمَا جُنَّ قَلْبِي بِكُمْ
تَسَنَّى لَكُمْ.
كلّمَا نَالَنِي وَلَعٌ طَائِشٌ
تمَاثَلتُمُ بِالحَمِيمِ من الجُرحِ
وخَالَجَنِي أنَّنِي جَرَسُ النّاسِ في ظِلِّكُمْ

قَبِلْتُم بِحِصّةِ مَنْ يَسْتَجِيرُ مِنَ الحُلمِ بِالنّارِ
خَلَعْتُم عَنِ الجَسَدِ المتُهيِّئِ لِلرّيحِ رِيْشَ الجَنَاحَيْن
قايَضْتُم بِالنّبِيذِ القَدِيمِ على المِلْحِ في البَحْرِ
طَرَحْتُم عَلى قَارِعَةِ السُّوقِ مَا طَابَ لِلْمُشْتَرِي
مِنْ خُيوطِ القَمِيصِ الذي سَتَخِفُّ السّمَاءُ على سَاعِدَيْهِ
عَرَضْتُم تَأويلَ أحْلامِنا في الظّلامِ المَرِيضِ مِنَ اللّيلِ
بِعْتُم لَنَا ما تَبَقّى مِنَ الوَهْمِ تَهْوِيدَةً
تَسَنَّى لَكُمْ صدفَةً أنْ نَمُوتَ قَلِيلاً مِنَ اليَأسِ
لِفرْطِ الأمَلْ
تراءَتْ لَكُم فَجأةً وَردَةٌ لِلعَمَلْ
فَارْتَجَّ مِيزَانُكُمْ
وفَاتَتَ فَهارِسكُمْ أنَّ ثمَّةَ شَيْئاً يَضِيعُ:

تأويلُ أكبادِنَا والحَدِيثُ القَرِيبُ مِنَ القَلب
والمِعْدنُ الذَّهَبِيُّ الكَرِيمُ الذي ادَّخَرَتْهُ النّساءُ
لأزْوَاجِهِنَّ وهُمْ يَرْجعُونَ مِنَ البَحرِ
يَسْتَجوبُونَ الدّماءَ
فَاتَكُمْ
أنَّ مَا تَقْبَلُونَ بِهِ في ظُلْمَةِ النَّصِّ
يَفْضَحُكُمْ في الشَّفَقْ
قَبلتُمْ بْعَيْنَينِ مَفْقُوءَتَينْ
ومُعْجِزَةٍ، فَاتَها اللهُ والأنْبِيَاءُ
قَبلتُمْ بِمَنْ يَقْرأُ تَارِيْخَنَا بِالمَمَاحِي
ويُنْعِشُ كَنْزَ الضّغَائِنِ،
يَنْتَابُنَا مِثْلَ غَيْبُوبَةٍ
كَيَ يَكُفَّ الأدِلاءُ عَنْ وَصْفِهِم لِلأفُقْ.

ثلاثون بحراً للغَرَق

١

أَيَّتُهَا الحَيَاةُ النَّحِيلةُ،

بُكَائي طَويلٌ

وأخْطاءُ قَلْبي قليلةْ.

كُلُّ مَنْ غادرَ بَيْتَ الطُّفُولةِ

مُستَسْلِماً للرَّحِيل

انْتَهَى نَادِمَاً

واستَعَادَ السَّفِيْنَةَ

في زرْقةٍ مُستحيلةْ.

لَيلي قَصِيرٌ

وقَلْبي عَلِيلٌ

ولكِنَّ أحْلامَ حُبّي طَويلَةْ.

٢

زرقاءُ مُوسيقاكَ
تَمْنَحُ دَفْتَرَ الأطفالِ أسْماكاً
وزعْنِفَةَ الغَرِيقِ
وخَيْطاً في بريدِ الأُفُقِ.

مُوسِيقاكَ بَابُ البَحْرِ
للبَاقِي مِنَ الأسْفارِ
مُوسيقاكَ
طَيْفُ سَفينةِ الغَرْقَى
رُؤى الكَلماتِ
أطفالُ المسافةِ
واحتمالاتُ الكَلامْ.

٣

دَعْ لنا حُرِّيَّةَ الخَوفِ

ودَعْنا في النّوارِسْ.

٤

كلّما أجَّلْتُ مَوتَ الأصْدِقاءِ
لكي يُطيلوا نَوْمَهُم في آخِرِ الشُّطآنِ
تَرْزَقُّ انْتظاراتي
وتُوقِظُني يَدٌ مَذْعُورَةٌ.
هل كنتَ لي وحدي؟
وهل بابُ الصّداقة مُوصَدٌ في
وَحْشَةِ العنوان؟
بحرٌ أمْ بِحارٌ؟
أمْ شَظايانا على طَوفٍ وعاصِفةٍ؟
له وَحْدِي
إذا نَالَ انْطفاءَته، لِيَفْقدَني
صَديقٌ يَقْبَلُ التّأجِيل
بَحْرٌ في المرايا
في حَرِيْقِ المَاءِ
في كَتِفِي
لئلا أنْحَني في حَضْرةِ التّأويْل.

٥

لم يَزَلْ لَونُ المَخَاوِفِ أزْرَقْ
لم يَزَلْ رِيْشُ النّوارِسِ أزرقْ
لم تَزَلْ في النّوافِذِ رَعشتُها
وأخطاؤنا الخُضْرُ
كالزّرْقَةِ المُشْتَهاةِ
تَهِيْمُ، وتَغْرَقْ.

٦

نُجَرِّدُ ماءَكَ مِنْ لونِه،
أسْودٌ مُسْتَهامٌ
يُعَرِّيكَ
هذا الحَزِينُ الذي يَصْطَفِيْكَ
انْتَهَتْ نُزْهَتُكْ،
لتَبدأ في السَّفَرِ المرِّ
فارْحَلْ
وخُذْ زنْجَكَ
مَوجَكَ
للغَرَقِ الحُرِّ
دَعْهُمْ يَضِيعُونَ
لم تَعُدْ زُرْقَةٌ تَحْتَويكَ
فالمَدَى بُرْهَةٌ في العُيُونْ.

٧

في القُرى المُستباحةِ
في مُنعطفَاتِ الخرَائطِ
في ما تَبَقّى مِنَ اليَأسِ
تأتي القَوَاربُ شَاخِصَةً للجُنُون
وتبدو السُّنُونُ
تَفَاصِيلَ حاضِرةً للسَّفَرْ.

٨

بلادٌ
تُؤَلِّفُنِي نَشِيداً نَشِيداً
بلادٌ
سَتَكْتُبُنِي، ثُم تَبْكِي عَليَّ
وحيداً وحيداً.

بلادٌ مُؤَجَّلَةٌ
سَوفَ تَمْحُو ليَ الحُزنَ
عِيداً فَعِيداً.

٩

صَحارى تُطارِدُنا
وتَرْدَدُ الزَّبَدَ اللُّؤلُؤيَّ
كلّما جَرَفَ السَّيلُ أخْبارَنا
مثل نَهْرٍ مِنَ الرَّمْلِ
جاءَ الخَرَابُ الخَفِيّ.

نحنُ أسطُورةٌ
تَقْتَفِي مَوتَها الفَلْسَفِيّ.

١٠

ذَهَبْتُ إلى بَحْرٍ
بلا سُفُنٍ
وجَرَّبْتُ الشّظايا وهي طائِشَةَ
وتاهَ المَوجُ بِي
وحدي تَجرَّعتُ الغِيابَ
فَقَدْتُ أحْبَابي
بلا سُفُنٍ
يَضِيقُ البَحْرُ في لَيلِ الكِتابِ.

١١

مُنْذُ بَحْرَيْنِ

يأتي لها الضّائِعونَ

يَضِيعُونَ فيها.

قراصِنَةُ الأرضِ

فيها الصّعاليكُ

والقَرَامطةُ اليائسُون،

لَعَلَّ التي مُنْذُ بحرَيْنِ

تُدْرِكُ بَحَّارةً

وخْدَهم

يَغْرَقُونْ.

١٢

كنتُ بحاجةٍ للماءِ، كي أتلوَ صَلاةَ
الموجِ
حَنْجَرَتِي وَرَتْ
مِنْ فَرْطِ ما نَطَرَتْ،
هنا رَمْلٌ يَجِفُّ،
وكنتُ وحدي في انتظارٍ مَا
هل قِسْتَ المَسَافةَ مَرَّةً
بين المخَدَّةِ واخْتِمارِ الحُلمِ في ليلِ
الرّحيلِ؟
هل كنتَ تَقْرأُ نَوْرَساً يَهْفُو بِأجْنِحَةِ
الكَسِيرِ
لِصارِياتِ النّوْءِ؟
هل فاتَ الفَنارُ هِدَايَةَ الغَرْقَى
قُبَيلَ تَفَاقُمِ الماضي؟
طَلَبْنا نَجْدَةَ الغَرْقَى
لنَزْعمَ أنَّ قامُوساً سَيُسْعِفُنا
مِنَ الأموات.
تَهَجَّيْنا عَذابَ البَحرِ، وهو يمُوجْ.
ما المغزى، إذنْ،
وثَلاثُ أخْشَابٍ تَجُوبُ الأُفْقَ،
لا الماضي يُحَرِّرُها مِنَ المعنى
ولا مُسْتَقْبَلُ الأخْطاءِ يُدْرِكُها

ثلاثُ سَفَائِنٍ في التّيه
نَقْرَؤُها تِبَاعاً وهي تَغْرَقُ
والمَسَافَةُ بَيْنَنَا لُغةُ المُعاقِ
وبَحْرُ دِلالةٍ في الجَزْرِ؟

١٣

للبَحْرِ مُوسِيقى
ونحنُ جَوْقَةُ القَتْلى
نُغَنِّي في نَشيدِ المَوجِ
كي لا يَنْعَسَ الحُرَّاسُ.

نُغَنِّي
نَرْتَخِي في كائِناتِ البَحْرِ
في قَنِّينَةِ الحِبْرِ الشَّفِيفِ
في نَجْمِةٍ، صَارَتْ لنا فَرَساً
في خِفَّةِ الخَشَبِ الرّشِيقَةِ
حَوْلَنا نَيْلُوْفَرُ الأعْمَاقِ، وهو يُضَلِّلُ
الأسْماكَ
يَمْحُو لُغْزَنا المَائيَّ.
***
مُوسِيقاكَ في قَلَقٍ
ونحنُ في نَحِيبِ الجُرْحِ
في مَوْتٍ يُؤَلِّفُنا.

١٤

لم يَعُدْ بيتُه عامراً بالنّوارسِ
في الجُزُرِ النّائياتِ
ستبدو الحياةُ الوحيدةُ
مطمورةً بالحَجَرِ الحَيِّ
بالرَّمْلِ وهو مُسَجًّى
بلا أمَلٍ
يَحْتَمِي بالحُدُودِ البَعِيدَةْ.

١٥

جُزُرٌ مُجَزَّأَةٌ
تُكافِئُنا بما لا يَسْتَقِيمُ لنا
بِمَاءٍ يَفْقِدُ المِيزانَ
هَلْ كانَ الخَلِيجُ سَفِينَةَ الجَرْحى؟
وهلْ في وَحْشَةِ الشّطآنِ
جائِزَةٌ؟
كُلُّ جَزِيرَةٍ وَهْمٌ
وحَنْجَرَةُ النّشِيدِ شَهادَةٌ لِلْفَقْدِ
بَحْرٌ مُسْتهامٌ بالقَواقعِ
وهِي تَكْشِفُ سِرَّها
هلْ في الجَزِيرَةِ سَاحِلٌ يَحْنُو؟
وهل هذي النّسَاءُ دَفاتِرٌ ثَكْلَى
تُؤْجِّلُنا لِنَنْتَظِرَ السّفِينَةَ
وهي عائِدَة بِهِم
في يَقْظَةِ الأحْزانْ؟

***

في أيِّ جُزءٍ من خَطَايَانَا
نَمُوتُ؟
وأيّ صَارِيَةٍ سَتَصْلبُنا؟
ومَن فِينَا يُحَرِّرُنا؟

١٦

بلا أملٍ في الغيابِ
تِلْكَ أسْفارُ أهْلِي
وتلكَ السّفِينَةُ تَفْقِدُنِي.

كلّما أبْحَرَتْ
صَهَلَتْ فَرَسٌ في البقايا من الأُفُقِ
بلا أملٍ في الضّبابِ.

أبِي كان بَحْراً على البَحْر
زُرْقَتُهُ
لونُ عَينَيْهِ
فَانُوسُهُ مُطْفَأٌ في الجَزِيرَةِ
صَلَّى
بَلا أملٍ في الكِتابْ.

١٧

كنتُ أُعَبِّئُهُ في الدّفاترِ

والبَحْرُ يَرْفُلُ في الدِّفءِ بَينَ الحُرُوفِ

تَنْتَابُهُ رَجْفَةُ الغَرَقِ المُشْتَهى

فأكتبُهُ نَخلةً فَارِعَةً

في هامِشِ الغَيْمِ،

تَنْسَاهُ عَيْنا فَتَاةٍ

تَضِيعَانِ في النّشْوة المتْرَعَةْ

أخَبِّئُه في التِباسِ الكتابةِ بالمَحْوِ

يَنْسَاهُ بحّارَةٌ ضَائِعُونَ

يَتيهُونَ قَتْلى الرّؤى الخَادِعَةْ

أُزَكِّيهِ لِلغَوصِ

لِلُّؤلُؤِ المُسْتَحِيلِ

فَيَنْتَابُه اللّيلُ في الزّرْقَةِ الضّائِعَةْ.

١٨

أبحَرْتُ،

كلّ قَصِيدَةٍ مَوجٌ

وألواني حُرُوْفٌ

والبَقِيّةُ مِنْ دَمِي وَعِرُ الطّرِيقِ.

***

هل في التّفاتة رَاحِلٍ ما،

يَسْتَعِيدُ الأزرقُ المفقودُ في كُتُبي

ويَمْنَحُ حَسْرَتِي خَشَباً قَدِيماً

ناضِجَاً

قبلَ الرّحيلْ؟

أبْحَرْتُ

لو أنَّ الكَمَانَ بَكَى قَلِيلاً

قَبْلَ هَبّ الرّيحِ

١٩

لو أنَّ القصيدةَ ذاتُ مَغْزَى
والكلامَ مُحَرَّرٌ، والبَيتَ داري
صارَ لي صوتٌ
يُتَرْجِمُني لأحفادِي
وصِرْتُ شُجَيْرَةَ النّارَنجِ
في الوادي
ولكنَّ الكَمَانَ نَسي
والعُمْرُ يُسْرِعُ بِي
وجاءتْني البِحارُ عَليلةً
فانْهَرْتُ في بابِ الضّحايا
كُلَّمَا وَحْدِي،
القصائدُ جَمَّةٌ
لكنَّنِي أبْحَرْتُ كي
أرْسُو على شَمْسِ الشّظايا.

٢٠

نساءٌ يتعلَّمْنَ الغَرَقْ
في انتظارِ الخَشَبِ العائِدِ
بالمُسْتَوْحِشَينْ،
بِرِجالٍ في أقاصِي الحَجَرِ المَنْسِيّ
في الأعماقِ
في رَدْهَةِ بَيْتٍ مُوحِشٍ
طَافٍ
على يأسِ الشَّفَقْ،
ونساءٌ يَتَدَرَّبْنَ على ماءٍ ثَقِيلٍ
ثم يَحْرِسْنَ القَلَقْ
ويُصلِّينَ، لكي يأتيَ شِراعٌ غائبٌ.
***
تلك نساءٌ مُسْتَجِيراتٌ مِنَ الفَجْرِ
إلى نارِ الغَسَقْ.

٢١

مِنْ أينَ جِئْتِ بِوَرْدَةِ المَجْنُونِ؟
يَخْسَرُ نَجْمَةً في البَحْرِ
بَحْثاً عن حَدِيقَتِه المُضَاعَةِ،
كيفَ وَزَّعْتِ الكِتابَ
وفِهْرَسَ القَتْلى وفَلْسَفَةَ المَسافةِ
بينَ أن يَحْظى الجُنُونُ بِعَقْلِه المفقود
أو يَنْسَى العذابَ
ويَكْتَفِي بالوَرْدَةِ الكَسْلى؟

ابتدأتِ أم انتهيتِ؟
فَدَفَّةُ السُّفُنِ الكَسِيرَةِ
بَيْرَقُ الأسْري
فنارٌ في تُخُومِ البَحْرْ.
***
هل كَافَأتِنا بالحُبّ
كي نَفْنَى على مَضَضٍ؟
وهل أخبارُ قَتْلانا جُنونٌ جامحٌ
والبَحرُ بَهْجَتُنا؟
وهل تاهَ الغِيابُ، ودَارتِ الدّنيا بنا؟
من أينَ جئتِ؟
***
ربّما كُنّا فَنَاراً تائِهاً.

٢٢

يَضَعُ الأطفالُ قَوارِبَهم في الشّاطِئ
يَكْتَئِبُونَ لِفَرْطِ النّطرَةِ
والماءُ شَحِيحٌ
لا البَحرُ يُحَقِّقُ أحْلامَ الأطفالِ
ولا المَوْجُ يُؤَجِّلُ وَهدَتَهم.
أطفالُ البحرِ يُؤَدُّونَ طُقُوسَ الرّقْصِ
ويَرْتَجِلُونَ أغانٍ راعِشَةً
كي تأتي الزّرْقَةُ
تَمْحُو الشَاطِئ
تَمْحُونَا
يَأتِي النّوْرَسُ بالأخْبارِ
تَطِيْشُ الأحَلامُ جُنُوناً.

٢٣

اليأسُ أجْدَى
كلّما غابَ المغامرُ في خَرِيطَتِه
بَكَتْ أسْطُورَةٌ
ومَضَتْ خُيُولٌ
واستدارَ الكَونُ نَحْو شَكِيمةٍ مغدُوْرةٍ،
يَجْلُو قراصنةٌ مَساميرَ السّفينة.
ربّما مَالَ الخرافيّون نحو خَدِيعةٍ
فاليأسُ أجْدَى
ليسَ في بَحْرِ الغِياب نهايةٌ
ولا ينتابُنا أملٌ لمَنْ ينهارُ
مَنْ تخْتارُه نارُ الهَزيمَة
يَفتدِيْنا
ربّما قَالَ النّهاريّون حكْمتَهُم
ربّما اختَارُوا لهم مَوتاً رَحِيماً
قبلَ أن تَنتابَهم أسطُورةُ الأنواءِ
خَيلٌ هَائجٌ
وشَكِيمةٌ مَكْسورةٌ،
فاليأسُ أجْدَى.

٢٤

هي امرأةٌ بَكَتْ أحلامَها
لتُهَدْهِدَ الأطفالَ
كي تغفوَ على مُستقبلٍ في البَحْرِ
يا امْرأةَ
لها ألوانُها
ولها انتظارٌ شَامخٌ
خَشَبٌ يُغنّي في قديمِ البَيتِ
حتّى شُرفةِ المعنى،
هي امرأةٌ
تُؤجِّل نَورَساً للّيلِ،
كادَ اللّيلُ أنْ يَفنَى.

٢٥

تمَنَّينَا ثلاثاً
أن يكونَ البَحرُ مَسْرَحَنا،
نُؤَلِّفُ مَركَباً
لنُؤَثِّثَ الشّطآن بالذئبِ الحزين
ونَحْتَسِيَ مِنْ سَلَّةِ القَرَوِيّ عُصْفُوراً
ونَلْبَسَ حُلَّةً مِنْ عُنفُوانِ المَوجِ.
خَيلٌ خائفٌ
أو مُستَحِيلٌ عابِرٌ
فالبَحْرُ يَغْفُو في المَرايا.
كُلّمَا مِتْنا
تمَنَّينا له أن يَقْتَدِي
باللُّؤلؤِ المكنُونِ
بالمجنونِ
وهو يُبَجِّلُ المَحارَ،
مجنونٌ، ويَفْدِينا.
***
تمَنَّينا ثَلاثاً
غَيْرَ أنَّ البَحرَ
لمْ يُصْغِ
ولم يَرْأَفْ بِنا.
مِتْنا ثَلاثاً،
كانتِ الأمواجُ
تَجْرِي تَحْتَ ليلِ الجِسْرِ.

٢٦

سُفُنِي مُحَطَّمَةٌ على بابِ الحَرِيقِ
وشَهْوَةُ القُرْصانِ تَحْدُو بِي
وحُلْمِي سَيِّدٌ
كيفَ انْتَهَتْ بِي هذه الأسْفَارُ
مَصْلُوباً بِصارِيةٍ
ومُضْطَرِعاً بِمَوجٍ جَامِحٍ؟

هذا المَدى يَغْتَالُنِي غَرَقاً
لماذا كُلّما جاءَ البريدُ
فَقَدْتُ أحْلامِي
وصَارَتْ لي قُرىً مَهْدُورَة في دُكْنَةِ
الأخْبَارِ؟
مَنْ يَتْلُو حُطامِي في السّفِينَةِ؟
مَنْ يُتَرْجِمُنِي؟
ومَنْ يُعْطِي لأحْفادِي ذَرِيعَتَهم
ليبدأ دَرْسُهمْ في الماءِ
مثلَ تَضَرُّعِ التّاريخِ
بَعْدَ النّارِ؟

٢٧

عادَ المُسَافِرُ
والمُسَدَّسُ لا يَزالُ مُصَوّباً للرَّأسِ
كي أرْوِيَ الحِكَايَةَ مثْلَما يَبْغُونَ
ما يزَالُ المُسَدَّسُ غارِقاً في الدّم
ما يزَال المُسافِرُ واقِفاً، يَرْنُو لِرَاحَتِه
الأخيرةِ
غَيْرَ أنَ قُضَاتَهُم يُصْغُونَ للتَّحْقِيقِ
عَبْرَ الكَأسِ
ماذا يَرْتَجُونَ مِنَ الضّحِيةِ
وهي نائِمَةٌ
تُوارِي مَوْتَها
كي لا يَصُوغُونَ اتّهامَاً تاسِعَاً؟
سَئِمَ المُسافِرُ
وهو يَهْجُو تَاجَهُ المَهْجُورَ،
قالوا سَوفَ تُصْبِحُ سَيِّداً
ما لَمْ يُزاحِمْكَ السُّكارى حَوْلَ تَخْتِ
الحُكْمِ
قُلْ إنَّ المُسَدَّسَ كانَ يَشْهَدُ عِنْدَما
نَامَ
القُضاةُ
كما اختفى بَعْضُ الضّحايا
بَغْتَةً في مَوْتِهم،

قُلْ في الرّوايَةِ ما يُفَسِّرُهُ الرُّواةُ.

***

عَادَ المُسافِرُ للسَّفِينَةِ
مُعْلِناً في البَحْرِ
أنَّ المَوْجَ أرْحَمُ مِنْ غِيابي
والمُسَدَّسُ شاهِدٌ.

٢٨

(أ)

مثلما تَنتَهِي سَهْرَةُ العاشِقاتِ مَعَ
الأُفْقِ
يَبْدَأُ بحرُ المُصابِين بالفَقْد
قَلبٌ وخَائفةٌ من تأويلِ أحْلامِهَا:
مَوجةُ الفَاتِحِين
وانكِسَارٌ مَعَ الضَّوءِ
حِنّاؤُها زَعْفَرانٌ على الكَعبِ
والعُمرُ يمضي.

شُرْفَةُ العَاشِقاتِ على الأفقِ
والبَحْرُ يَغْرَقُ في لُجَّةِ الضّائِعينَ.

(ب)

الماءُ في اللازوردِ
وعَيْناكِ ضائِعَتَانِ
وما لا يُسَمَّى مِنَ الأُفقِ
أُرْجُوحَةٌ للسَّفَرْ
كأنَّ النَّظَرْ

هتَافٌ وتُفّاحَتَانِ
ومُخْتَمَلٌ مُوشِكٌ للشَّفَقْ.

(ت)

يَتْرُكُ الماءُ آثارَه في خُطَانا
ويَسْتَبِقُ الغَيْمُ أحْلامَنا
كَيْ يُضَلِّلَ،
مثلَ الفَنَارِ العَدُوِّ،
رَبَابِنَةَ البحْرِ.
***
هل كانَ مَرْكَبُنا يَتْبَعُ اللهَ؟
أمْ يَسْبقُ المُعْجِزاتِ؟
هل كانتِ البُوصلاتُ صَدِيقةَ
أحْلامِنا؟
هل لنا أنْ نُؤَنِّبَ أخْطاءَنا
مثلما يَفْعَلُ الحالِمُونَ
وهمْ يُبْحِرُونْ؟
***
سَنَغْرَقُ ثانِيَةً
مثلَهُمْ.

٢٩

لم يكنْ لي غَيْرُ خَمْسِينَ جَناحاً
كي أطِيرْ،
وبَعِيدٌ ساحِلُ النّسْيانِ
مَنْفىً إثرَ مَنْفى،
هاتِ مُوسيقاكِ قبل النَّصّ
منفايَ أليفٌ
وهنا البلدانُ تُغْوِينِي
لكي أنسَى.

***

جاءني بَحرٌ وعشرونَ دليلاً لارتيادِ
المَوجِ
مَنفىً إثرَ مَنفى
والأدلاءُ كِتابٌ، يَشْرَحُ الأنْوَاءَ،
والنّهْرُ وراءَ البَحْرِ
يُغْرِينِي.
تَدَرَّبْتُ لِكَيَ أغْرَقَ في أوّلِ بَحْرِ
وأُسَمِّي غُرْبَةَ المَنْفَى
وخَمْسِينَ جَنَاحاً
جَرَساً يُوقِظُنِي في جَنَّةِ النّسيانِ،
هل كانتْ بِحاراً؟
أمْ غُزَاةٌ كَسَرُوا مِرآتَنا
قبلَ السَّفَرْ؟

٣٠

ما مِنْ أمَلٍ
لا تتَّخِذُوا حِصْناً للحَرْبِ
فليسَ لنا غَيرُ الغَرَقُ القَادِمُ
ما دُمْنا نَنسَى أسْماءَ البَحْرِ الحُسْنَى،
ما مِنْ أمَلٍ
قَدْ فَسدَ المِلْحُ، ونَالَ المَاءُ الأعظمُ
من حُلمِ النّاسِ
فهذي الكأسُ تُعَدُّ بأقْصَى دَرَجَاتِ
العَلْقَمِ
هل نَتَجَرَّعُ مُرَّ الكأسِ كِلانا؟

أسْبِلْ رِأسَكَ
لا أملٌ في هذا الفأسْ.

خُذْ دَرْسَ الغَرَقِ الأخْرَقِ
واسْأَلْ نَفْسَكَ
عن بابِ اليأسْ.

***

ا مِنْ موتَى أجْمَلُ مِنْ قِتْلانَا
فلْنَذْهَب عَبْرَ الماءِ

لِئَلا تَعْرِفَ عَينُ المَوتِ خُطَانا
ما دُمْنا في شَمْسٍ يَائِسَةٍ
لا أملٌ يُنْقِذُ هذا البَحْرَ سِوانا.

«بيت هاينريش بول» - ألمانيا - شتاء ٢٠١٣

فهرس القصائد

اسمعْ، يا «آرثر» ٧

تنهّدات حارسِ الحُلم ٢١

ناحية «حانةُ الذّئب».................... ٢٦

هناكَ الذي لي.................... ٣٣

وردةُ الذّئاب ٣٥

الأغاني الصّغيرةُ للأميرةِ ذات الخيال.................... ٣٩

ليلُ الأسرى.................... ٥٥

الكأسُ في الرّأسِ ٥٧

رقصةٌ طائِشَةٌ.................... ٥٩

خذني أموتُ على يَدَيْكَ.................... ٦١

قلبٌ لتحيا، قلبانِ لكي تُحِبّ.................... ٦٦

الثّلجُ في الخارج ٦٨

الشاعر.................... ٧١

هل أنتَ في الكون؟ ٧٣

زجاجة الكوثر.................... ٧٦

كَثيفُ الوَجَلْ.................... ٧٧

معراجكِ ومُشتهاكِ.................... ٨٠

لولاك في الجغرافيا........................ ٨٥
سَدِيمُ الفَلَكْ ٨٧
لا تَدَعْها تَنكَسِرْ ٩٠
مثلما يَفعَلُ اللهُ مِنْ دُونِ قَصْدِ ٩٥
كأسانِ للرّأس ٩٩
الأقداحُ المعبوبة حتّى الثمالات........................ ١٠١
جداريّة للشّخص الوَسِيم ١٠٩
يُوزِّعُ يَقْظَتَهُ عَلى نَائِمِينْ ١١٤
جَرَسٌ يَنْهَرُ الشُّعُوبْ........................ ١١٩
لَكُمْ دِيْنُكُمْ، ١٢٢
ولِلخَارِجَينَ الأجلاءِ دَيْنٌ عَليكُمْ ١٢٢
ثلاثون بحراً للغَرَق ١٢٤

ليس لديكَ منَ الوقتِ لتأنيبِ دُعاءِ النّدمِ
فُرسانُكَ المؤجّلونَ ينتظرونَكَ على مَشارفِ الجبلِ
ينتظرونَ انحدارَكَ مُنجرفاً، لتأخذَ مكانكَ في طليعتِهم
يذهبونَ إليكَ
مثلَ الحجِّ
مثلَ الحلمِ إلى النّومِ،
إليكَ
إليكَ
لتذهبَ بهمْ في دَرْسِ اليقظةِ
لرعيلٍ أمعَنَ في التّيهِ
وأفرطَ في الحسْرةِ،
ما كانَ لكَ أنْ تتأخّرَ عن قلقِ القلْبِ
في مَهاميزِ فُرسانكَ المنذورينَ لفقدِكَ
جَسورونَ بكَ
ويُذكرونَكَ بالحُبِّ أكثرَ ممّا تتركهمْ في الضّغائنِ،
مُريدوكَ يُريدونَكَ،
قرابينُهم في أيديهِمْ،
رجاةَ أنْ تبرأَ منَ الضّرِّ
رجاةَ أنْ تنهضَ بتاجكَ الصّحيحِ نحو مَدارجِ خيلِهمْ،
يستلّونكَ مثلَ سيفٍ سعيدٍ في المُبارزاتِ
يُعالجونَ بكَ جراحَهُمْ
ويَجرحونَ بكَ أوهامَ الجنّةِ والنّارِ.


ISBN 978-88-99687-96-0

المتوسط